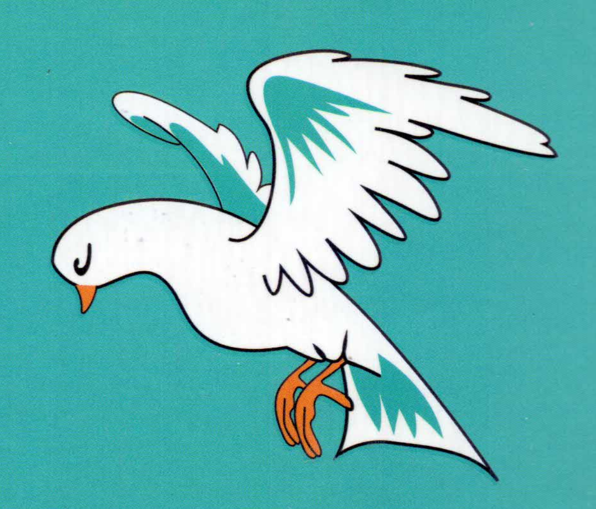
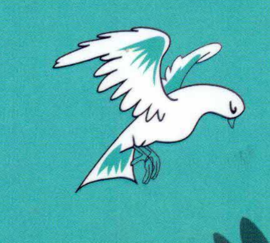
قصص الأنبياء

المجلد الرابع



بقلم : أ . عبد الحميد عبد المقصود
رسوم : أ . عبد الشافى السيد
إشراف : أ . حمدى مصطفى




العربيـة الحديثـة
للطبع والنشر والتوزيع بالقاهرة والإسكندرية


خـطوط للتجـليد
مدينة العبور- المنطقة الصناعية الأولى
تليفون : ٤٦١٠٦٦٣٦ (٠٢)
Khotout.binding@gmail.com

قصص الأنبياء

المجلد الرابع





مقدمة

الحمد لله رب العالمين .. والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبى الكريم وعلى آله وصحبه أجمعين ..

مرحبًا بكم مع سيرة الأنبياء عليهم السلام ..

فالأنبياء عليهم السلام هم مصابيح الهدى ، وهم الأسوة والقدوة ، أرسلهم الله تعالى لإنقاذ البشرية ، وتحملوا الأذى فى سبيل دعوتهم لله عز وجل .. بذلوا الجهد وصبروا ليواصلوا الرسالة كما أمرهم الله تعالى .

ولأهمية قصص الأنبياء يقول الله ـ عز وجل :

﴿ نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين ﴾ . [يوسف الآية ٣]

ويقول ـ تعالى :

﴿ فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ﴾ . [الأعراف الآية ١٦٧]

هذه الآيات تشير إلى أهمية القصص ، وكيف أنها منهج قرآنى ربانى أصيل ، لتثبيت النبى صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين من بعده ؛ لعلهم يتفكرون ويتأملون ، ويعتبرون من هذه القصص ..

﴿ لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب ما كان حديثًا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شىء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ﴾ . [يوسف الآية ١١١]

قصص الأنبيـاء

داود عليه السلام



قاتل جالوت

وَقَفَ جيْشُ طَالُوتَ الْقَلِيلُ الْعَدَدِ فى مُواجَهَةِ جَيْشِ جَالُوتَ الْجَبَّارِ ، وطَلَبَ جالُوتُ مَنْ يُبَارِزُهُ مِنْ جَيْشِ طَالُوتَ ، فَلَمْ يَجْرُؤْ عَلَى التَّقَدُّمِ لمبارزَتِهِ أَحَدٌ ، خَوفًا مِنْ قُوَّتِهِ ..

وأَعْلَنَ طَالُوت فى جُنُودِهِ أَنَّهُ سَوْفَ يُزَوِّجُ مَنْ يُبارِزُ جالُوتَ ويَقْتُلُهُ مِنَ ابْنَتِهِ ، وسَوْفَ يُشْرِكُهُ مَعَهُ فى الملْكِ ..

وهُنا تَقَدَّمَ رَاعِى غَنمٍ صَغِيرٌ وأَعْلَنَ عَنِ اسْتِعْدَادِهِ لمبارَزَةِ جالُوتَ .. ولَمْ يَكُنْ هَذا الرَّاعِى سِوَى دَاوُد عَلَيْهِ السَّلَامُ والَّذى صارَ فِيمَا بَعْدُ نَبِيًّا ومَلِكًا لِبَنِى إِسْرائِيلَ ..

لَمْ يَكُنْ دَاوُد عَلَيْهِ السَّلَامُ مُشارِكًا فى الْحَرْبِ ، ولا كَانَ جُنْدِيًّا فى جَيْشِ طَالُوتَ ، لَكِنَّهُ كَانَ يَرْعَى غَنَمَ أَبِيهِ ، ولِذَلِكَ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ سَيْفٌ أَوْ عُدَّةُ حَرْبٍ ..

وكَانَ لِدَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ثلاثَةُ إِخْوةٍ مُشارِكِين فى جَيْشِ طَالُوت ، وقَدْ أَرْسَلَهُ أَبُوهُ خلفَ إِخْوَتِهِ لِيَتتَبَّعَ أَخْبَارَ الْجَيْشِ ، ويَأْتِيَهُ بِأَخْبارٍ تُطَمْئِنُهُ عَنْ إِخْوَتِهِ الثَّلاثَةِ ..

ويَبْدُو أَنَّ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدْ حَضَرَ فى اللَّحْظَةِ المناسِبَةِ تَمامًا ، فَقَدْ رَأَى جَالُوتَ وهُوَ يَخْتالُ فى دِرْعِهِ الْحَدِيدِيَّةِ الثَّقِيلَةِ ، ويُطَوِّحُ بِسَيْفِهِ فى الْهَوَاءِ سَاخِرًا مِنْ طَالُوتَ وجُنُودِهِ ، لأَنَّ أَحدًا لا يَجْرُؤُ عَلَى التَّقَدُّمِ لمبَارَزَتِهِ ..

وتَقَدَّمَ دَاوُد عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ طَالُوتَ ، طَالِبًا مِنْهُ أَنْ يَأْذَنَ لَهُ بِمُبارَزَةِ جالُوتَ ، فَتَعَجَّبَ طَالُوتُ ، وتَعَجَّبَ جمِيعُ الْحَاضِرِينَ مِنْ هَذَا الرَّاعِى الشَّابِّ ، الَّذِى لا خِبْرَةَ لَهُ بِالْحَرْبِ ، والَّذِى لا يَحْمِلُ مِنْ أَدَوَاتِ الْقِتَالِ أَىَّ سِلاحٍ ، وأَشْفَقُوا عَلَيْهِ مِنْ بَطْشِ جالُوتَ ..

لَكِنَّ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ظَلَّ مُصِرًّا عَلَى مُبارَزَةِ جالُوتَ ، وأَمَامَ إِصْرارِهِ قالَ لَهُ طَالُوت :

ـ إِذَا قَتَلْتَ جالُوتَ ، فَسَوْفَ أُزَوِّجُكَ ابْنَتِى ، وأَجْعَلُكَ قَائِدًا لِجَيْشِى ..



كَانَ دَاوُد عليه السلام مُمْتلِئًا إيمانًا باللهِ ، وثِقةً فى نَصْرِه ، لِذَلك كَانَ يَشْعُرُ فى دَاخِلهِ بِأَنَّهُ أَقْوى مِنْ جَالُوتَ ..

وتَقَدَّمَ دَاوُد عليه السلام لملاقَاةِ جَالوت ، وكُل ما يَحملُهُ هُوَ مِقلاعُهُ وبِضْعَةُ أَحْجارٍ (المِقْلاعُ هُوَ النَّبلُ الَّذى يَحْمِلُهُ الرُّعَاة) وعِنْدَمَا حَاوَلُوا إِلْبَاسَهُ عُدَّةَ الْحَرْبِ ودرْعًا ، لِيَتقِى بِهِ ضَرباتِ أَسْلِحَةِ جَالُوتَ ، شَعَرَ بِثِقلِهَا ، لأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مُمرَّنًا عَلَيْهَا ، ولِذَلِكَ تَخلَّصَ مِنْهَا ، وتَقدَّمَ لمبَارزةِ جَالُوت ..

ورآهُ جَالُوتُ ، فَأَشْفقَ عَلَيْهِ مِنَ المَوْتِ ، وحَاولَ أَنْ يَرُدَّهُ قَائِلاً :

ـ ارْجِعْ يا فتى ، فإِنِّنى لا أُرِيدُ أَنْ أَقْتُلَكَ ..

فَرَدَّ عَلَيْهِ دَاوُدُ عليه السلام قَائِلاً :

ـ لَكِنَّنِى حَرِيصٌ أَنْ أَقْتُلَكَ ..

وأَخْرَجَ دَاوُدُ عليه السلام حَجرًا فَوضَعَهُ فى مِقلاعِهِ ، ثُمَّ سَمَّى بِاسْمِ اللهِ ، وصَوَّبَ المِقْلاعَ نَحوَ جَبْهَةِ جَالُوتَ .. ثُمَّ أَطْلَقَهُ ..

أَصابَ الْحجَرُ جَبْهَةَ جَالُوت ، ونفَذَ فى رَأْسِهِ ، فقتَلَهُ ، وسَقطَ جَالوت عَلَى الأَرْضِ ..

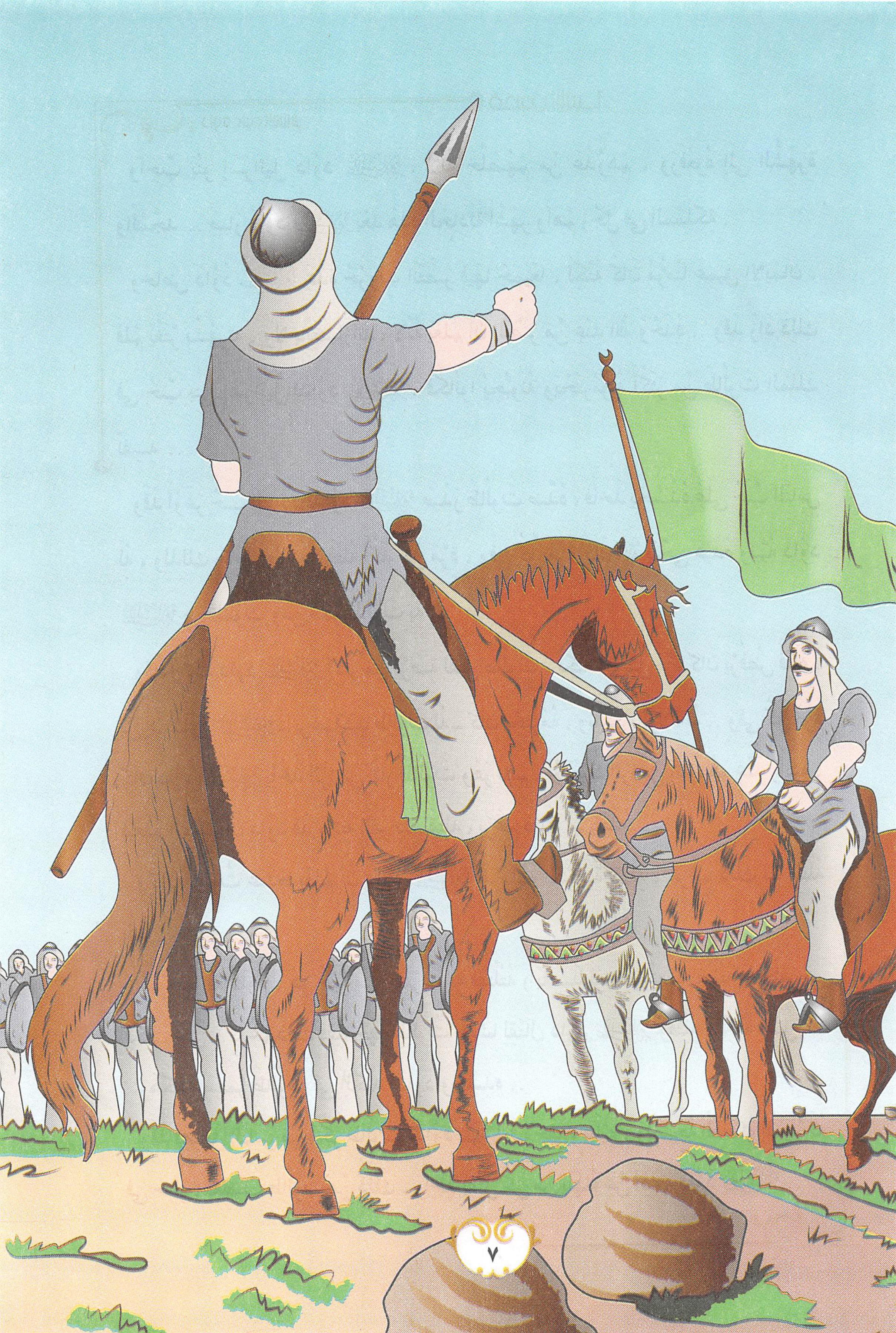
تَقدَّمَ دَاوُدُ عليه السلام نَحْوَ جَالُوت وانتزعَ سَيْفَهُ ..

هَلَّلَ طَالُوت وجُنُوده فرَحًا بِقَتْلِ الطَّاغِيَةِ جَالُوت ..

أَمَّا جُنُودُ جَالُوتَ فَقَدْ دَبَّ الْخَوْفُ والاضْطِرابُ فى صُفُوفِهِمْ بَعْدَ أَنْ شَهِدُوا مَصْرَعَ قَائِدِهِمْ ومَلِكِهِمْ ..

وحَقَّقَ جَيْشُ طَالُوتَ نصْرًا سَرِيعًا وحَاسِمًا عَلَى عَدُوِّهِمْ ..

بَعْدَ أَنْ قَتلَ دَاوُدُ عليه السلام جَالُوتَ ، زَوَّجَهُ طَالُوت مِنَ ابْنَتِهِ ، وعَيَّنَهُ قَائِدًا لِلْجَيْشِ ..



وأَحبَّ بَنُو إِسْرائيلَ دَاوُد عليه السلام ، لأَنَّه خَلَّصَهُمْ مِنْ عَدُوِّهِمْ ، ورَفَعُوه إِلَى الشُّهْرَةِ والْمَجْدِ .. صَارَ دَاوُدُ عليه السلام بَعْدَ هَذِهِ الْحَادِثَةِ أَشْهَر وأَهَمَّ رَجُلٍ فِى المَمْلَكَةِ ..

وخَاضَ دَاوُدُ عليه السلام عِدَّةَ حُرُوبٍ انْتصرَ فِيهَا جمِيعًا ، لَكِنَّهُ كَانَ مُؤْمِنًا عَمِيقَ الإِيمَانِ ، فَلَمْ يَغْتَرَّ بِشُهْرَتِه ، ولا بِانْتِصَارَاتِه ، لأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ النَّصْرَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَحْدَهُ .. وقَدْ زَادَ ذَلِكَ فِى حُبِّ بَنِى إِسْرائِيلَ لِدَاوُد عليه السلام ، فَكَانُوا يُحِبُّونَهُ ويَحْتَرِمُونَهُ أَكْثَرَ مِنْ طَالُوتَ المَلِكِ نَفْسِهِ ..

وقَدْ أَوْغَرَ حُبُ النَّاسِ لِدَاوُد عليه السلام صَدْرَ طَالُوتَ ضِدَّهُ ، فَأَخَذَ يَحْسُدُهُ عَلَى حُبِّ النَّاسِ لَهُ ، ولِذَلِكَ حَاوَلَ طَالُوتُ قَتْلَهُ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ ، وفِى كُلِّ مَرَّةٍ كَانَ اللهُ يُنَجِّى عَبْدَهُ ونَبِيَّهُ دَاوُد عليه السلام مِنَ المَوْتِ ومِنْ مَكْرِ طَالُوتَ بِهِ ..

وقَدْ وَاتَتْ دَاوُد عليه السلام أَكْثَر مِنْ فُرْصَةٍ لِقَتْلِ طَالُوتَ ، لَكِنَّهُ فِى كُلِّ مَرَّةٍ كَانَ يَرْفُضُ قَتْلَهُ ، بَلْ إِنَّ دَاوُد عليه السلام - بِرَغْمِ كَيْدِ طَالُوتَ لَهُ - كَانَ يَحْتَرِمُهُ ، ويَدِينُ بِالْوَلاءِ لَهُ .. وفِى كُلِّ مَرَّةٍ كَانَ دَاوُدُ عليه السلام يَأْخُذُ أَثَرًا مِنْ آثَارِ طَالُوتَ وهُوَ نَائِمٌ ، أَوْ يَتْرُكُ أَثَرًا مِنْ آثَارِهِ هُوَ عِنْدَ رَأْسِهِ ، فَيَعْلَمُ المَلِكُ أَنَّ دَاوُدَ قَدْ وَاتَتْهُ الْفُرْصَةُ لِقَتْلِهِ ، بِرَغْمِ ذَلِكَ لَمْ يَقْتُلْهُ ..

وكَانَ طَالُوتُ عِنْدَمَا يَعْلَمُ أَنَّ دَاوُدَ عليه السلام قَدْ وَاتَتْهُ الْفُرْصَةُ لِقَتْلِهِ ، بِرَغْمِ ذَلِكَ لَمْ يَقْتُلْهُ يَقُولُ نَادِمًا :

- يَرْحَمُ اللهُ دَاوُدَ ، هُوَ خَيْرٌ مِنِّى ظَفِرْتُ بِهِ فَقَتَلْتُهُ (يَقْصِدُ لَوْ ظَفِرْتُ بِهِ لَقَتَلْتُهُ) وظَفِرَ بِى فَكَفَّ عَنِّى .. بِرَغْمِ ذَلِكَ فَقَدْ جَهَّزَ طَالُوتُ جَيْشًا لِقِتَالِ دَاوُدَ عليه السلام وقَتْلِهِ ، لَكِنَّهُ فَشَلَ ..

وهَكَذَا اسْتَمَرَّ طَالُوتُ فِى الكَيْدِ لِدَاوُدَ وحَسَدِهِ ..

وقَدْ تَضَايَقَ النَّاسُ مِنْ مَكْرِ طَالُوتَ لِدَاوُد عليه السلام وحِقْدِهِ عَلَيْهِ ، ونَصَحَهُ الْعُلَمَاءُ أَنْ يَتْرُكَهُ فِى حَالِهِ ، فَغَضِبَ طَالُوتُ مِنْ ذَلِكَ ، وأَخَذَ يَقْتُلُ كُلَّ مَنْ يَنْهَاهُ عَنْ أَذَى دَاوُدَ عليه السلام ..



وهكذا حتّى قتل كثيرًا مِن الْعُلماءِ ..

وذات يومٍ أمرَ الْخبّازَ بِقتْلِ امْرأةٍ مِنْ عُلماءِ بنى إسْرائيل ، لكِنَّ الْخبّازَ أشْفق عليْها ولمْ يقْتُلْها قائلاً :

ـ لعلّنا نحْتاجُ إلى عالِمٍ ..

وأحسَّ طالُوت بِخطئِهِ فى حقِّ داوُد عليه السلام فندم ندمًا شديدًا ، وأخذ يبْكِى مُعْظم وقْتِه ..

وصار يخْرُجُ كُلَّ ليْلةٍ إلى الْقُبُورِ ، فيبْكِى ويُنادِى :

ـ أنْشُدُ اللهَ عبْدًا علِمَ أنَّ لى توْبةً أنْ يُخْبِرنى بِها ..

وذات ليْلةٍ رآهُ الْخبّازُ فرقَّ لهُ وأشْفق عليْهِ فسألهُ قائلاً :

ـ ما بِك أيُّها الملِكُ ؟

فقال لهُ طالُوت :

ـ هلْ تعْلمُ لى عالِمًا فى الأرْضِ أسْألُه : هلْ لى مِنْ توْبةٍ أم لا ؟

فقال لهُ الْخبّازُ مُتهكِّمًا :

ـ هلْ تدْرِى ما مثلُك ؟

فقال طالُوتُ :

ـ لا ..

ـ إنّما مثلُك مِثْلُ ملِكٍ نزل قرْيةً عِشاءً ، فصاح الدِّيكُ ، فتشاءم مِنْهُ ، فقال : لا تترُكُوا فى الْقرْيةِ دِيكًا إلاّ ذبحْتُمُوهُ .. فلمّا أراد أنْ ينام قال : إذا صاح الدِّيكُ فأيْقِظُونا ، فقالُوا لهُ : وهل تركْت دِيكًا يُسْمعُ صوْتُه ؟! وأنْت هلْ تركْت عالِمًا نسْألُهُ ؟!



فَازْدَادَ حُزْنُ طَالُوتَ ، واشْتَدَّ بُكَاؤُهُ ، فَأَشْفَقَ الْخَبَّازُ عَلَيْهِ قَائِلاً :

ـ هَلْ لَوْ دَلَلْتُكَ عَلَى عَالِمٍ تَقْتُلُهُ ؟!

فَقَالَ طَالُوتُ :

ـ لا ..

فَلَمَّا وثِقَ الْخَبَّازُ مِنْ صِدْقِهِ ، أَخْبَرَهُ بِأَنَّهُ يَعْرِفُ مَكَانَ المرْأَةِ الْعَالِمَةِ ، الَّتِى أَمَرَهُ أَنْ يَقْتُلَهَا ، فَلَمْ يَقْتُلْهَا فَقَالَ طَالُوتُ :

ـ إِذَن انْطَلِقْ بِى إِلَيْهَا ، حَتَّى أَسْأَلَهَا : هَلْ لِى مِنْ تَوْبَةٍ أم لا ؟

فَقَالَ لَهُ الْخَبَّاز :

ـ إِنَّهَا إِنْ رَأَتْكَ فَزِعَتْ مِنْكَ ، ورُبَّمَا مَاتَت من الْخَوْفِ ..

فَلَمَّا وَصَلا إِلَى بَابِ الدَّارِ الَّتِى تُقِيمُ فِيهَا المرْأَةُ الْعَالِمَةُ ، تَرَكَهُ الْخَبَّازُ بِالْخَارِجِ ، ثُمَّ طَرَقَ الْبَابَ ودَخَلَ ، فَقَالَ لَهَا :

ـ أَلَسْتُ أَعْظَمَ مِنَّةً عَلَيْكِ ، وإِحْسَانًا إِلَيْكِ ؟!

فَقَالَتِ المرْأَةُ الْعَالِمَةُ :

ـ نَعَمْ ، فَقَدْ أَنْجَيْتَنِى مِنَ الْقَتْلِ ، وآوَيْتَنِى فى هَذِهِ الدَّارِ ..

فَقَالَ لَهَا :

ـ إِنَّ لِى عِنْدَكِ حَاجَةً .. هَذَا طَالُوتُ جَاءَ يَسْأَلُكِ : هَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ أم لا ؟

وكَادَتِ المرْأَةُ الْعَالِمَةُ يُغْشَى عَلَيْهَا مِنَ الْخَوْفِ ، لَوْلا أَنْ طَمْأَنَهَا الْخَبَّازُ إِلَى أَنَّ طَالُوتَ لَمْ يَأْتِ لِيَقْتُلَهَا ، لكِنَّهُ جَاءَ يَسْأَلُهَا عَمَّا إِذَا كَانَتْ لَهُ تَوْبَةٌ أَمْ لا ..





ويُقَالُ إِنَّ المرْأَةَ سَأَلَتْهُمَا إِذَا كَانَا يَعْلَمَانِ قَبْرَ نَبِيٍّ ، فَقَالا لها إِنَّهُمَا يَعْلَمَانِ قَبْرَ النَّبِى يُوشَع ابْن نُون ، فَانْطَلَقُوا إِلَيْهِ ، وهُنَاكَ نَادَتْ يُوشَع فَخَرَجَ مِنْ قَبْرِهِ وهُو يَنْفُضُ التُّرابَ عَنْ رأْسِهِ ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِمْ قَالَ :

ـ مَا لَكُمْ ؟! هَلْ قَامَتِ الْقِيَامَةُ ؟!

فَقَالَتْ :

ـ لا ، ولَكِنَّ طَالُوتَ يَسْأَلُكَ : هَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ ؟!

ويُقَالُ إِنَّ يُوشَع عَلَيْهِ السَّلَامُ رَدَّ عَلَيْهِمْ قَائِلاً :

ـ مَا أَعْلَمُ أَنَّ لِطَالُوتَ مِنْ تَوْبَةٍ إِلا أَنْ يَتَخَلَّى عَنْ مُلْكِهِ ، وَيَخْرُجَ هُوَ وَوَلَدُهُ ، فَيُقَاتِلا فى سَبِيلِ اللهِ ، حَتَّى إِذَا قُتِلَ وَلَدُهُ هَجَمَ هُوَ فَقُتِلَ ، فَعَسَى أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ لَهُ تَوْبَةً ..

ثُمَّ عَادَ إِلَى قَبْرِهِ ..

ويُقَالُ إِنَّ طَالُوتَ قَدْ رَجَعَ أَشَدَّ حُزْنًا ، وظَلَّ يَبْكِى نَدَمًا ، حَتَّى نَحُلَ جِسْمُهُ وهَزَلَ ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ أَبْنَاؤُهُ ، وكَانُوا ثَلاثَةَ عَشَرَ أَخْبَرَهُمْ بِأَمْرِ تَوْبَتِهِ ، وطَلَبَ مِنْهُمْ أَنْ يَخْرُجُوا مَعَهُ لِلْغَزْوِ فى سَبِيلِ اللهِ ، ويُقَالُ إِنَّ طَالُوتَ وأَبْنَاءَهُ قَدْ مَاتُوا جَمِيعًا فى هَذِهِ الْغَزْوَةِ ..

وأَوْرَثَ اللهُ ـ تعالى ـ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ المُلْكَ مِنْ بَعْدِ طَالُوتَ ، وآتَاهُ الحِكْمَةَ وجَعَلَهُ نَبِيًّا ..

النبى الملك

تَوَلَّى دَاوُد عَلَيْهِ السَّلَامُ مُلْكَ بَنِى إِسْرائِيلَ ، بَعْدَ وَفَاةِ طَالُوتَ .. اخْتَارَهُ الشَّعْبُ الَّذِى أَحَبَّهُ واحْتَرَمَهُ ، بَعْدَ أَنْ قَتَلَ عَدُوَّهُ جَالُوتَ ..

آتَاهُ اللهُ المُلْكَ وجَعَلَهُ نَبِيًّا ، وعَلَّمَهُ الْحِكْمَةَ ، كَمَا آتَاهُ مِنْ عِلْمِهِ مَا شَاءَ أَنْ يُعَلِّمَهُ سُبْحَانَهُ ..



وهكذا جمعَ داوُد عليه السلام بينَ الملكِ والنُّبوَّة .. فهُوَ الملكُ النَّبىُّ ، أوِ النَّبىُّ الملكُ ..

وقبْلَ داوُدَ عليه السلام كانَ الملْكُ فى سِبْطٍ والنُّبُوَّةُ فى سِبْطٍ آخرَ ، فجَمعَ اللهُ - تعالَى - لهُ بيْنَ خيْرَىِ الدُّنْيَا والآخِرَةِ ..

وقدْ سخَّرَ اللهُ - تعالَى - لعبْدِهِ ونَبيِّهِ داوُدَ عليه السلام عددًا من النِّعمِ ..

منْ هذِهِ النِّعمِ أنَّ اللهَ - تعالَى - سخَّرَ الْجِبالَ والطُّيورَ لتُسبِّحَ معَهُ ..

وقدْ كانَ نبىُّ اللهِ داوُد عليه السلام تقيًّا حسَنَ الصَّوْتِ .. آتاهُ اللهُ - تعالَى - الزَّبُورَ ، وهُوَ كِتابٌ مُقدَّسٌ كالتَّوْراةِ ..

فكانَ داوُد عليه السلام إذا قرأَ منْ كِتابهِ مُرتِّلاً بصَوْتِهِ الجَميلِ ردَّدتْ معَهُ الْجِبالُ والطَّيْرُ تَسْبيحَهُ للهِ - تعالَى ..

قالَ تعالَى :

﴿ ولقدْ آتيْنا داوُدَ منَّا فضْلاً يا جِبالُ أوِّبى معَهُ والطَّيْرَ ﴾ [الآية ١٠ من سورة سبأ]

قالَ تعالَى :

﴿ وسخَّرْنا معَ داوُدَ الْجِبالَ يُسبِّحْنَ والطَّيْرَ وكُنَّا فاعِلين ﴾ [الآية ٧٩ من سورة الأنبياء]

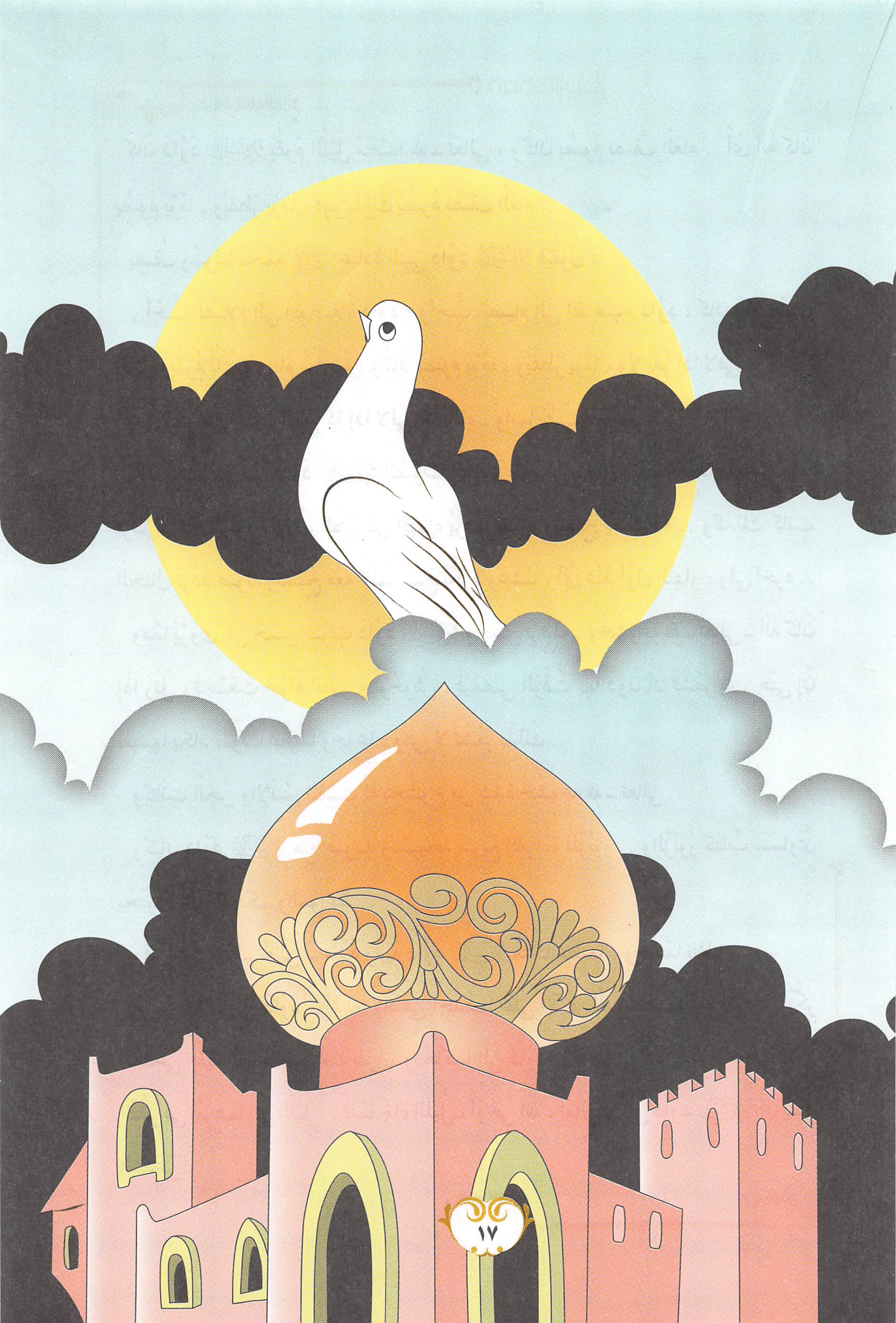
وقالَ تعالَى :

﴿ واذْكُرْ عبْدَنا داود ذا الأيْدِ إنَّهُ أوَّابٌ * إنَّا سخَّرْنا الْجِبالَ معَهُ يُسبِّحْنَ بالْعشِىِّ والإشْراقِ * والطَّيْرَ محْشورةً كُلٌّ لهُ أوَّابٌ * وشَدَدْنا مُلْكهُ وآتيْناهُ الْحِكْمَةَ وفصْلَ الْخِطابِ ﴾

[الآيات ١٧ - ٢٠ من سورة ص]

والمقصُودُ بالأيْدِ هُنا هُوَ الْقُوَّةُ فى طاعَةِ اللهِ - تعالَى ، فقدْ كانَ داوُد عليه السلام ذا قُوَّةٍ فى الْعبادَةِ للهِ - تعالَى - والْعَملِ الصَّالحِ ..





كَانَ دَاوُدُ عليه السلام يَقومُ اللَّيْلَ مُتعبِّدًا للهِ ـ تعالَى ، وكَانَ يَصومُ نِصْفَ العَامِ .. أى أَنَّهُ كانَ يَصُومُ يوْمًا ، ويُفْطِرُ يوْمًا ، فَهوَ بِذَلكَ يَصُومُ نِصْفَ الْعَامِ ..

يَصِفُ رَسُولُنَا مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم عِبادَةَ النَّبِى دَاوُدَ عليه السلام فيَقُولُ :

« أَحبُّ الصَّلاةِ إِلَى اللهِ صَلاةُ دَاوُدَ ، وأَحبُّ الصيامِ إِلَى اللهِ صِيامُ دَاوُد ، كَانَ يَنامُ نِصْفَ اللَّيْلِ ويَقُومُ ثُلُثَهُ ، ويَنَامُ سُدْسَهُ ، وكَانَ يَصُومُ يوْمًا ، ويُفْطِرُ يوْمًا ، ولا يَفِرُّ إِذَا لاقَى »

أَىْ لا يفِرُّ مِنْ مَيْدَانِ المعْرَكَةِ إِذا لاقَى الأَعْدَاءَ ، وإِنَّمَا يَثْبُتُ لِلقائِهِمْ ..

وقَدْ وَهَبَ اللهُ نَبِيَّهُ دَاوُدَ عليه السلام الصَّوتَ الْعَظِيمَ الْحَسَنَ ، مَا لَمْ يُعْطِهِ أَحَدًا فَقَدْ كَانَ إِذَا تَرَنَّمَ بِقِراءَةِ الزَّبُورِ ، يَقِفُ الطَّيْرُ فِى الْهَواءِ يُرَدِّدُ صَوْتَهُ وتُسَبِّحُ بِتَسْبِيحِهِ .. وكَذَلِكَ كَانَتِ الْجِبَالُ تُرَدِّدُ صَوْتَهُ وتُسَبِّحُ مَعَهُ كُلَّمَا سَبَّحَ بُكْرَةً وعَشِيًّا ، أَىْ عِنْدَ أَوَّلِ النَّهارِ ، وفِى آخِرِهِ ..

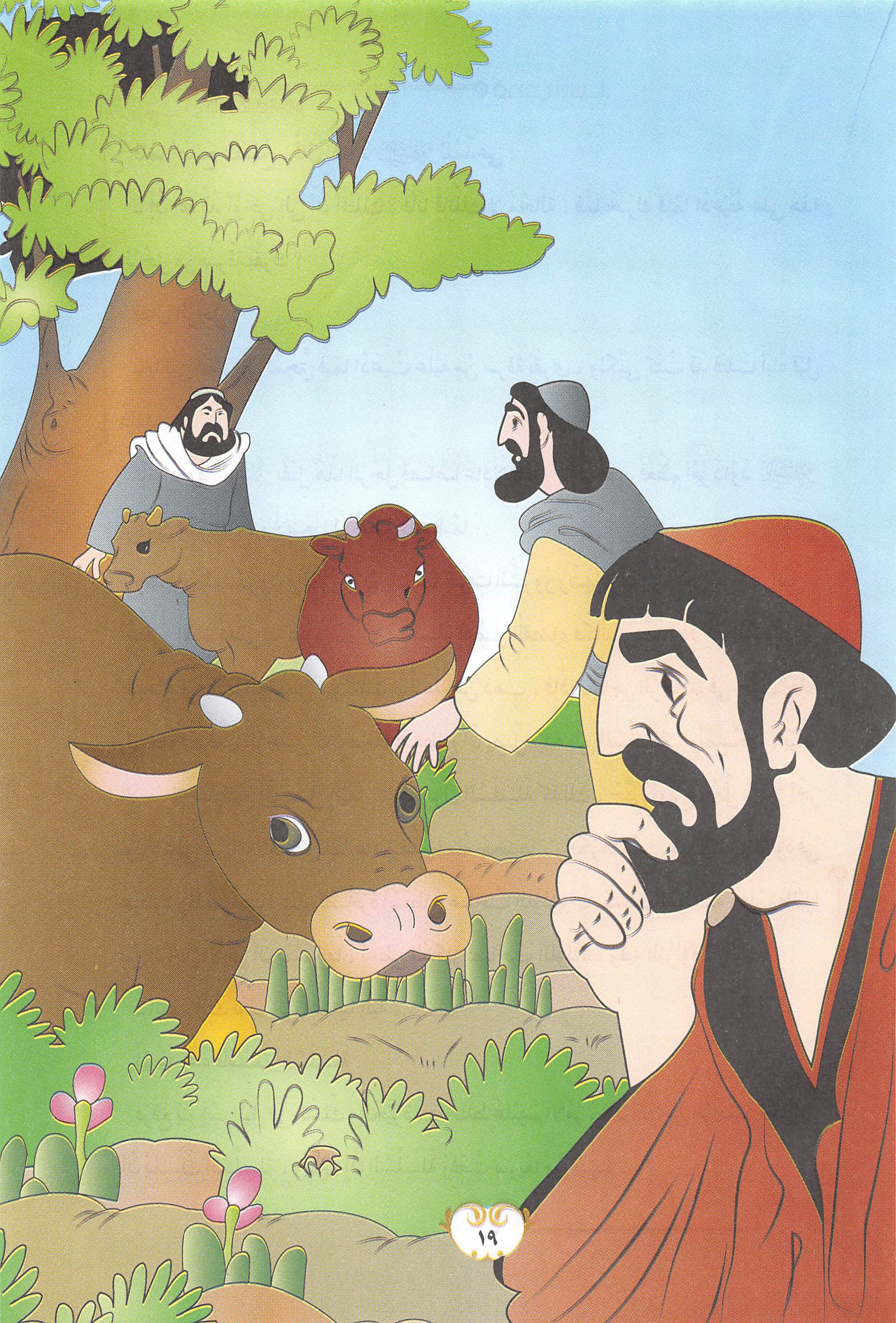
ومِمَّا يُرْوَى عَنْ حُسْنِ صَوْتِ دَاوُدَ عليه السلام وحُسْنِ تَرْتِيلِهِ ، وخُشُوعِهِ للهِ ـ تَعالَى ـ أَنَّهُ كَانَ إِذَا رَتَّلَ ، تَجمَّعَتْ حَوْلَهُ الطَّيرُ والْوُحُوشُ ، فَيَمْضِى الوَقْتُ بِهَا دُونَ أَنْ تَشْعُرَ بِهِ ، حَتَّى إِنَّ بَعْضَهَا يَكَادُ يَمُوتُ عَطَشًا وجُوعًا ، وهِىَ لا تَشْعُرُ بِذَلِكَ ..

وكَانَتِ الْجِنُّ والإِنْسُ تُنْصِتُ لَهُ بِخُشُوعٍ مِنْ شِدَّةِ خُشُوعِهِ للهِ ـ تَعالَى ..

وكَانَ دَاوُد عليه السلام مَعَ صَوْتِهِ وتَسْبِيحِهِ سَرِيعَ الْقِراءَةِ لِلزَّبُورِ .. والزَّبُورُ كِتابٌ سَمَاوِىٌّ يَحْتَوِى عَلَى الحِكَمِ والمواعِظِ ..

وقَدْ أَعْطَى اللهُ ـ تعالَى ـ عَبْدَهُ ونَبِيَّهُ دَاوُدَ عليه السلام مُلْكًا عَظِيمًا ، وحُكْمًا نَافِذًا ..

جَاءَ رَجُلانِ إِلَى دَاوُدَ عليه السلام وادَّعَى أَحَدُهُمَا عَلَى الآخَرِ أَنَّهُ اغْتَصَبَ مِنْهُ بَقَرًا ، فَأَنْكَرَ المدَّعَى عَلَيْهِ أَنَّهُ اغْتَصَبَ مِنْهُ بَقَرًا ، وتَحَاكَمَا إِلَى دَاوُدَ عليه السلام فِى أَمْرِ الْبَقَرِ ، فَأَجَّلَ دَاوُدُ النَّظَرَ فِى أَمْرِهِمَا إِلَى اللَّيْلِ .. فَلَمَّا جَاءَ اللَّيْلُ ، أَوْحَى اللهُ ـ تعالَى ـ إِلَى دَاوُدَ عليه السلام أَنْ يَقْتُلَ المدَّعِى ..



فَلَمَّا أَصْبحَ الصُّبْحُ ، قَالَ دَاوُدُ عليه السلام لِلْمُدَّعِي :

ـ إِنَّ اللهَ قَدْ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ أَقْتُلَكَ ، فَأَنَا قَاتِلُكَ لا مَحَالَةَ ، فَمَا خَبَرُكَ فِيمَا ادَّعَيْتَهُ عَلَى هَذَا الرَّجُلِ مِنْ سَرِقَةِ بَقَرِكَ ؟

فَقَالَ الرَّجُلُ :

ـ يا نَبِي اللهِ ، إِنِّي لَمُحِقٌّ فِيمَا ادَّعَيْتُ عَلَيْهِ مِنْ سَرِقَةِ بَقَرِي ، ولكِنِّي كُنْتُ قَدْ قَتَلْتُ أَبَاهُ قَبْلَ ذَلِكَ ..

فَأَمَرَ دَاوُدُ عليه السلام بِقَتْلِ هَذَا الرَّجُلِ قِصَاصًا عَادِلاً لِقَتْلِهِ أَبَا الرَّجُلِ ، فَعَظُمَ أَمْرُ دَاوُدَ عليه السلام فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَخَضَعُوا لَهُ خُضُوعًا عَظِيمًا ..

وَقَدْ قَالَ المفسِّرُونَ والمؤرِّخُونَ : إِنَّه لَمَّا كَثُرَتِ الشُّرُورُ وشَهَادَاتُ الزُّورِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ ، أَعْطَى اللهُ ـ تَعَالَى ـ دَاوُدَ عليه السلام سِلْسِلَةً لِفَصْلِ الْقَضَاءِ فَكَانَتْ مَمْدُودَةً مِنَ السَّمَاءِ إِلَى صَخْرَةٍ فِي بَيْتِ المقْدِسِ ، وكَانَتْ سِلْسِلَةً مِنْ ذَهَبٍ ، فَإِذَا تَشَاجَرَ الرَّجُلانِ فِي حَقٍّ ، جَاءَا إِلَى دَاوُدَ ، فَأَيُّ الرَّجُلَيْنِ كَانَ مُحِقًّا استطاع أَنْ يَصِلَ بِيَدِهِ إِلَى السِّلْسِلَةِ ، ويُمْسِكَهَا ، بَيْنَمَا الآخَرُ لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهَا .. ولَمْ تَزَلِ السِّلْسِلَةُ كَذَلِكَ ، حَتَّى أَوْدَعَ رَجُلٌ رَجُلاً آخَرَ لُؤْلُؤَةً عَلَى سَبِيلِ الأَمَانَةِ ، فَلَمَّا عَادَ لِيَطْلُبَهَا مِنْهُ جَحَدَهَا ، وأَنْكَرَهَا مِنْهُ .. ثُمَّ أَوْدَعَ اللؤْلُؤَةَ فِي عُكَّازِهِ ، فَلَمَّا حَضَرَا عِنْدَ الصَّخْرَةِ اسْتَطَاعَ صَاحِبُ اللؤْلُؤَةِ أَنْ يَمْسِكَ السِّلْسِلَةَ ، فَلَمَّا طَلَبُوا مِنَ الرَّجُلِ الآخَرِ أَنْ يَمْسِكَهَا ، أَعْطَى الْعُكَّازَ لِصَاحِبِ اللؤْلُؤَةِ ، وفِيهِ اللؤْلُؤَةِ ، وقَالَ :

ـ اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَم أَنِّي أَعَدْتُهَا إِلَيْهِ ..

ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ فَأَمْسَكَ السِّلْسِلَةَ .

فَوَقَعَ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي الشَّكِّ والْحَيْرَةِ ، واخْتَلَطَ عَلَيْهِمُ الأَمْرُ ، لأَنَّ كُلًّا مِنَ الرَّجُلَيْنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يُمْسِكَ السِّلْسِلَةَ ، ويُقَالُ إِنَّ السِّلْسِلَةَ رُفِعَتْ سَرِيعًا مِنْ بَيْنِهِمْ ..

ومِنْ نِعَمِ اللهِ ـ تعَالَى ـ عَلَى عَبْدِهِ ونَبِيِّهِ دَاوُدَ عليه السلام أَنَّهُ أَلانَ لَهُ الْحَدِيدَ ..

قَالَ اللهُ ـ تعَالَى ـ فِى قُرآنِه الْمَجِيدِ :

﴿ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ * أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِى السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الآيتان ١٠ ، ١١ من سورة سبأ]

قَالَ بَعْضُ المفَسِّرِينَ : إِنَّ اللهَ ـ تَعَالَى ـ قَدْ جَعَلَ الْحَدِيدَ فِى يَدِ دَاوُدَ عليه السلام سَهْلاً لَيِّنًا كَالشَّمْعِ يُشَكِّلُهُ كَيْفَ يَشَاءُ ، بِدُونِ تَسْخِينٍ أَوْ صَهْرٍ أَوْ طَرْقٍ بِالمطَارِقِ .. وأَمَرَه اللهُ تعَالَى أَنْ يَسْتَغِلَّ هَذِهِ الميزَةَ فِى صِنَاعَةٍ مُفِيدَةٍ ، وهِىَ صِنَاعَةُ الدُّرُوعِ ، كَىْ يَلْبَسَهَا الجُنُودُ ، ويَخْرُجُوا لِلغَزْوِ فِى سَبِيلِ اللهِ ـ تَعَالَى ـ وقِتَالِ أَعْدَائِهِ ..

وقَدْ كَانَتِ الدُّرُوعُ قَبْلَ دَاوُدَ عليه السلام تُصْنَعُ مِنْ صَفَائِحَ مِن الحَدِيدِ ، وكَانَتْ ثَقِيلَةً جِدًّا تَعُوقُ المحَارِبَ عَنْ أَدَاءِ عَمَلِهِ بِكَفَاءَةٍ لأَنَّها تُقَيِّدُ حَرَكَتَهُ ، كَمَا أَنَّهَا لَمْ تَكُنْ تَقِى لابِسَهَا مِنْ ضَربَاتِ السُّيُوفِ والْحِرابِ والفُئُوسِ ..

أَمَّا الدُّرُوعُ الَّتِى صَنَعَهَا دَاوُد عليه السلام فَقَدْ كَانَتْ خَفِيفَةً ومَتِينَةً ، لأَنَّهُ يَنْسُجُهَا مِنْ حلقَاتٍ مِنَ الْحَدِيدِ ، يَقُومُ بتَشْكِيلِها بِيَدِهِ ، مُسْتَغلاًّ مِيزَةَ إِلانَةِ الْحَدِيدِ بَيْنَ يَدَيْهِ .. وقَدْ كَانَتِ الدُّرُوعُ المسْرُودَةُ (أَى الَّتِى تُنْسَجُ مِنْ حلقَاتٍ يُرَكَّبُ بَعْضُهَا فِى بَعْضٍ) والَّتِى كَانَ دَاوُد عليه السلام يَصْنَعُهَا أَخَفَّ وَزْنًا ، وأَكْثَرَ قُوَّةً ومَتَانَةً ، فَلا تُؤَثِّرُ فِيهَا ضَربَاتُ الأَسْلِحَةِ ، كَمَا أَنَّهَا كَانَتْ تُمَكِّنُ لابِسَهَا مِنْ حُرِّيَّةِ الْحَرَكَةِ فِى مَيْدَانِ الْقِتَالِ ..

وقَدْ كَانَ نَبِىُّ اللهِ دَاوُدُ عليه السلام يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ ، بِرَغْمِ أَنَّهُ كَانَ نَبِيًّا ، ومَلِكًا عَلَى مَمْلَكَةِ بَنِى إِسْرائِيلَ .. وقَدْ كَانَ عَمَلُهُ هُوَ صِنَاعَةُ الدُّرُوعِ ، فَكَانَ يَصْنَعُ فِى كُلِّ يَوْمٍ دِرْعًا ، ويَبِيعُهُ فَيَأْكُلُ مِنْهُ هُوَ وأَهْلُهُ ..

وَقَدْ كَانَتْ صِناعَةُ الدُّرُوعِ الْخَفِيفَةِ المَتِينَة عَلَى يَدِ دَاوُدَ عليه السلام وَتَسْلِيحُهُ الْجَيْش بِهَا سَبَبًا فى قُوَّة جَيْشِ دَاوُدَ عليه السلام فَلَمْ يَدْخُلْ دَاوُدُ عليه السلام مَعْرَكَةً وخسرَهَا ، وكَانَ ذَلِكَ يَجْعَلُ أَعْدَاءَهُ يَهَابُونَهُ .. وَلَمْ يَكُنْ دَاوُدُ عليه السلام يُحَارِبُ ظُلْمًا وعُدْوَانًا ، إِنَّمَا كَانَ يَغْزُو فى سَبِيلِ اللهِ ـ تَعَالَى ـ مِنْ أَجْلِ نَشْرِ دِينِ اللهِ فى الأَرْضِ .. وهَذَا هُوَ حَالُ الأَنْبِيَاءِ والمرْسَلِينَ فى كُلِّ زَمَانٍ ومَكَانٍ ..

وَقَدْ أَثْنَى اللهُ ـ تَعَالَى ـ عَلَى عَبْدِهِ وَنَبِيِّه دَاوُدَ عليه السلام فَقَال :

﴿ وإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وحُسْنَ مَآبٍ ﴾ [الآية ٢٥ من سورة ص]

أَىْ أَنَّ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قُرْبَى يُقَرِّبُهُ اللهُ ـ تَعَالَى ـ بِهَا مِنْ عَرْشِهِ ، ويفِيضُ عَلَيْه بِهَا مِنْ رَحْمَتِهِ وبرَكَاتِه ..

وَقَدْ قَالَ بَعْضُ المفَسِّرِينَ لِهَذِهِ الآيَة : إِنَّ دَاوُدَ عليه السلام يَقُومُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ سَاقِ الْعَرْشِ فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وجَلَّ :

ـ « يا دَاوُدُ مَجِّدْنِى الْيَوْمَ بِذَلِكَ الصَّوْتِ الْحَسَنِ الرَّخِيمِ ، الَّذى كُنْتَ تُمَجِّدُنِى بِهِ فى الدُّنْيَا »

فَيَقُولُ دَاوُدُ :

ـ كَيْفَ يَا رَبِّ ، وقَدْ سَلَبْتَهُ ؟

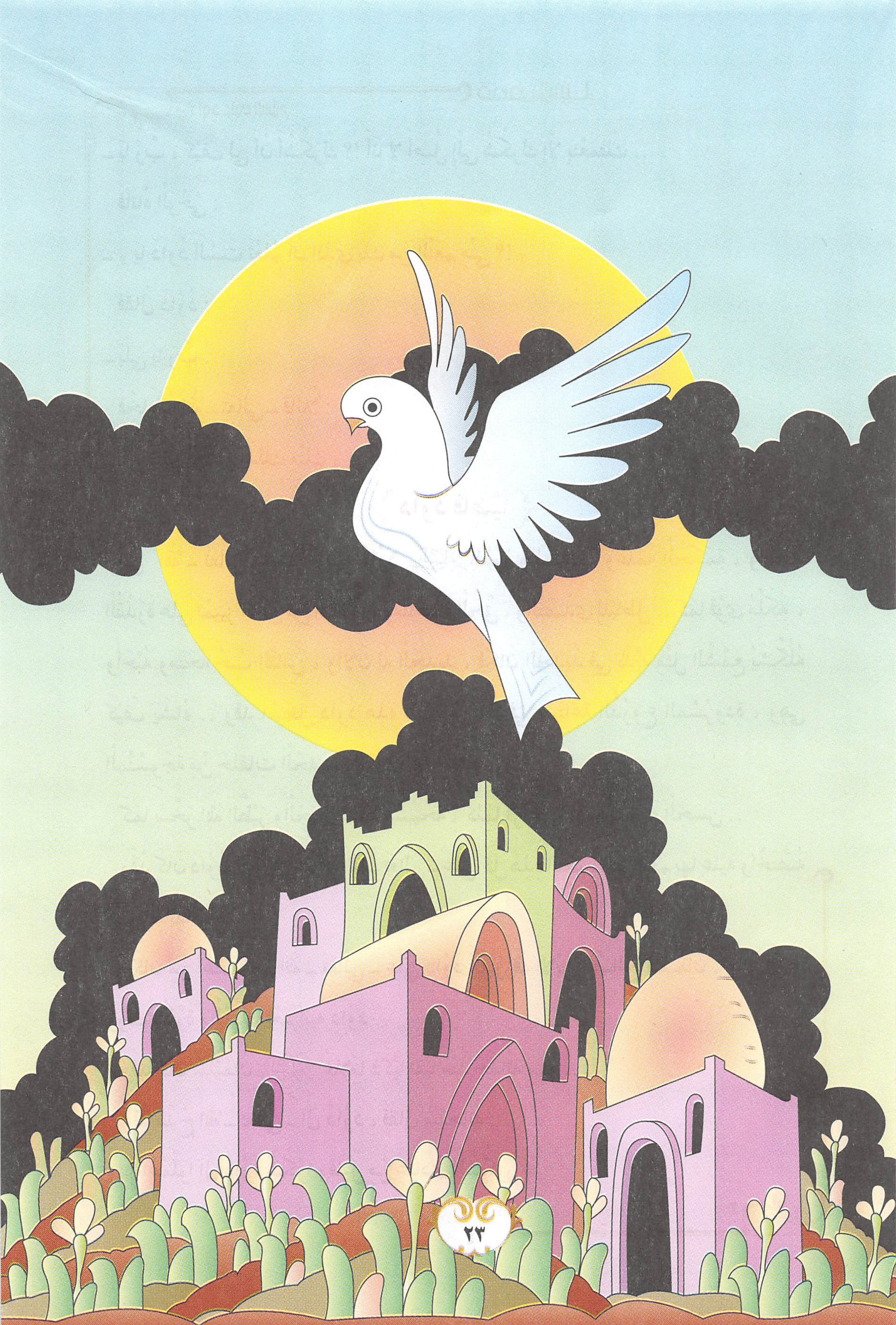
فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وجَلَّ :

ـ « إِنِّى أَرُدُّهُ عَلَيْكَ الْيَوْمَ »

فَيَرْتَفِعُ دَاوُدُ عليه السلام بِصَوْتِهِ مُمَجِّدًا اللهَ عَزَّ وجَلَّ ..

وَقَدْ قَالَ دَاوُدُ عليه السلام مُخَاطِبًا اللهَ ـ تَعَالَى ـ ذَاتَ يَوْمٍ :





ـ يَا رَبِّ ، كَيْفَ لى أَنْ أَشْكُرَكَ ؟! أَنَا لا أَصِلُ إِلَى شُكْرِكَ إِلَّا بِنِعْمتِكَ ..

فَأَتَاهُ الْوَحْىُ :

ـ « يَا دَاوُدُ أَلَسْتَ تَعْلَمُ أَنَّ الَّذِى بِكَ مِنَ النِّعَمِ مِنِّى ؟! »

فَقَالَ دَاوُدُ :

ـ بَلَى يَا رَبِّ ..

فَخَاطَبَهُ اللهُ ـ تَعَالَى ـ قَائِلاً :

ـ « فَإِنِّى أَرْضَى بِذَلِكَ مِنْكَ »

داود قاضيًا

آتَى اللهُ ـ تَعَالَى ـ عَبْدَهُ وَنَبِيهُ دَاوُد عليه السلام النُّبُوَّةَ والملْك ، وعَلَّمَهُ الْحِكْمَةَ ، وأَعْطَاهُ الْقُدْرَةَ عَلَى تَمْييزِ الْحَقِّ مِن الْبَاطِلِ ، ومُنَاصَرةِ الْحَقِّ ، والتَّصَدِّى لِلْبَاطِلِ .. كَمَا قَوَّى مُلْكَهُ ، وأَحَبَّهُ ومَنَحَهُ حُبَّ النَّاسِ ، وأَلانَ لَهُ الْحَدِيدَ ، فَكَانَ الْحَدِيدُ فى يَدَيْهِ مِثْلَ الشَّمْعِ يُشَكِّلُهُ كَيْفَ يَشَاءُ .. وقَدِ اسْتَغَلَّ دَاوُدُ هَذِهِ الْهِبَةَ مِنَ اللهِ فى صِنَاعَةِ الدُّرُوعِ المسْرُودَةِ ، وهِى الْمنْسُوجَةُ مِنْ حلقَاتِ الْحَدِيدِ ، وقَوَّى بِهَا جَيْشَهُ ..

كَمَا سَخَّرَ اللهُ الطَّيْرَ والْجِبَالَ تُرَدِّدُ تَسْبِيحَهُ ، كُلَّمَا قَرَأَ فى الزَّبُور بِصَوْتِهِ الْحَسَنِ ..

وقَدْ كَانَ دَاوُدُ عليه السلام شَاكِرًا لِلَّهِ ـ تَعَالَى ـ عَلَى كُلِّ هَذِهِ النِّعَمِ ، الَّتى أَنْعَمَ بِهَا عَلَيْهِ واخْتَصَّهُ سُبْحَانَهُ بِهَا ..

وكَانَ مِنْ أَعْظَمِ نِعَمِ اللهِ ـ تَعَالَى ـ عَلَى دَاوُدَ أَنَّهُ رَزَقَهُ الابْنَ الصَّالِحَ سُلَيْمَانَ ، وهُوَ الَّذِى وَرِثَ النُّبُوَّةَ والْمُلْكَ بَعْدَ أَبِيهِ دَاوُدَ ..

وقَدْ كَانَ سُلَيمَانُ عليه السلام غُلامًا ذَكِيًّا تَقِيًّا مُنْذُ حَدَاثَةِ سِنِّهِ ..

وقَدْ مَدَحَ اللهُ ـ تَعَالَى ـ آلَ دَاوُدَ ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ :

﴿ اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِىَ الشَّكُورُ ﴾ ..





وقَدْ قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ الصَّالِح :

ـ إنَّ في حِكْمَةِ آلِ دَاوُدَ : حقٌّ عَلَى الْعَامِلِ ألاَّ يَغْفُلَ عَنْ أَرْبَعِ سَاعَاتٍ .. سَاعَةٍ يُنَاجِي فِيهَا رَبَّهُ ، وسَاعَةٍ يُحَاسِبُ فِيهَا نَفسَهُ ، وسَاعَةٍ يُفْضِي فِيهَا إِلَى إِخْوانِهِ ، الَّذِينَ يُخْبِرُونَهُ بِعُيُوبِهِ ، ويَصْدُقُونَهُ عن نفسه ، وسَاعَةٍ يَخْتَلِي فِيهَا مَعَ نَفسِهِ فِيمَا أَحَلَّهُ اللهُ ، فَإِنَّ هَذِهِ السَّاعَةَ عَوْنٌ عَلَى هَذِهِ السَّاعَاتِ ..

وقَدْ قَسَّمَ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقْتَهُ إِلَى ثَلاثَةِ أَيَّام : يومٍ لِرِعَايَةِ مَصْلَحَةِ المَمْلَكَةِ وتَصْرِيفِ شُئُونِهَا ، ويَوْمٍ لِعِبَادَةِ رَبِّهِ ، ويَوْمٍ يَجْلِسُ فِيهِ لِلْقَضَاءِ بَيْنَ النَّاسِ ..

وقَدْ جَلَسَ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَوْمًا لِلْقَضَاءِ بَيْنَ النَّاسِ ، كَعَادَتِهِ ، وكَانَ حَاضِرًا الْمَجْلِسَ ابْنُهُ سُلَيْمَانُ ، وهُوَ لم يَزَلْ صَبِيًّا ..

وجَاءَ إِلَى مَجْلِسِ الْقَضَاءِ رَجُلانِ كَانَ أَحَدُهُمَا مُزَارِعًا ، صَاحِبَ حَقْلٍ ، وكَانَ الآخَرُ رَاعِيًا صَاحِبَ غَنَمٍ ..

وتَحَدَّثَ صَاحِبُ الحَقْلِ فَقَالَ :

ـ يا نَبِيَّ اللهِ ، قَدْ نَزَلَتْ غَنَمُ هَذَا الرَّجُلِ حَقْلِي ـ فِي أَثْنَاءِ اللَّيْلِ ـ فَأَكَلَتْ مَحْصُولِي ، وأَتْلَفَتْ زَرْعِي .. وقَدْ جِئْتُ أُطَالِبُ بِالتَّعْوِيضِ المُنَاسِبِ عَنْ زَرْعِي ..

فَسَأَلَ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ صَاحِبَ الْغَنَمِ قَائِلاً :

ـ هَلْ صَحِيحٌ ما يَدَّعِيهِ هَذَا الرَّجُلُ مِنْ أَنَّ غَنَمَكَ أَكَلَتْ مَحْصُولَهُ ، وأَتْلَفَتْ زَرْعَهُ فِي أَثْنَاءِ اللَّيْلِ ؟!

فَقَالَ صَاحِبُ الْغَنَمِ :

ـ نَعَمْ ..

فَقَالَ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ :







ـ إِذَنْ فَأَنَا أَحْكُمُ لِهَذَا الرَّجُلِ بِأَنْ يَأْخُذَ غَنَمَكَ عِوَضًا عَنْ مَحْصُولِهِ وزَرْعِهِ الَّذِى أَتْلَفَتْهُ غَنَمُكَ .

فَقَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ ـ عليهما السَّلامُ :

ـ عِنْدِى رَأْىٌ آخَرُ فِى هَذِهِ الْقَضِيَّةِ ، فَهَلْ تَأْذَنُ لِى يَا أَبِى أَنْ أَقُولَ رَأْيِى ؟

فَقَالَ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

ـ تَكَلَّمْ يَا سُلَيْمَانُ .. قُلْ رَأْيَكَ يَاوَلَدِى فِى هَذِهِ الْقَضِيَّةِ ..

فَقَالَ سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وكَانَ اللهُ ـ تَعَالَى ـ قَدْ عَلَّمَهُ حِكْمَةً تُضَافُ إِلَى مَاوَرِثَهُ عَنْ وَالِدِهِ :

ـ مِنْ رَأْيِى أَنْ نَحْكُمَ لِصَاحِبِ الْغَنَمِ أَنْ يأخُذَ الْحَقْلَ ، فَيُصْلِحَهُ ويَزْرَعَهُ ، حَتَّى تَعُودَ أَشْجَارُهُ كَمَا كَانَتْ .. ونَحْكُمَ لِصَاحِبِ الْحَقْلِ أَنْ يأخُذَ الْغَنَمَ ، فَيَنْتَفِعَ بِلَبَنِهَا وصُوفِهَا ويأْكُلَ مِنهَا ، حَتَّى يُصْلِحَ لَهُ صَاحِبُ الْغَنَمِ الْحَقْلَ ، ويُعِيدَهُ سَلِيمًا كَمَا كَانَ ، ومَتَى تَمَّ هَذَا يأْخُذُ صَاحِبُ الْغَنَمِ غَنَمَهُ ، ويَسْتَرِدُّ صَاحِبُ الْحَقْلِ حَقْلَهُ ..

فَأُعْجِبَ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْحُكْمِ الَّذِى أَصْدَرَهُ ابْنُهُ ـ بِرَغْمِ صِغَرِ سِنِّهِ ـ وفَرِحَ لأَنَّ اللهَ عَلَّمَ ابْنَهُ الْحِكْمَةَ ، وفَصْلَ الْخِطَابِ ، وأَصْدَرَ الْحُكْمَ الَّذِى رَآهُ سُلَيْمَانُ ..

وقَدْ قَصَّ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ هَذَا الْمَوْقِفَ فِى قَوْلِهِ تَعَالَى :

﴿ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ * فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ « الآيتان ٧٨، ٧٩ من سورة الأنبياء »

والثَّابِتُ عَنْ نَبِىِّ اللهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ كَانَ إِذَا دَخَلَ مِحْرَابَهُ مُخْتَلِيًا بِنَفْسِهِ ، لِيَتَعَبَّدَ للهِ تَعَالَى ، ويُرَتِّلَ الزَّبُورَ تَسْبِيحًا لَهُ ، لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يَجرُؤُ عَلَى الدُّخولِ عَلَيْهِ فِى خَلْوَتِهِ ، فَقَدْ كَانَ لَهُ حُرَّاسٌ عَلَى الأَبْوَابِ يَمْنَعُونَ أَىَّ شَخْصٍ مِنَ الدُّخولِ عَلَيْهِ وَقْتَ تَعَبُّدِهِ ، وحَتَّى يَخرُجَ هُوَ لِلنَّاسِ .



لكِنَّهُ فُوجِئ ذَات يَوْمٍ بِشَخْصَيْنِ يَتَسَوَّرَانِ عَلَيْهِ المحْرَاب ، الَّذِى يَتَعَبَّدُ فِيهِ (أَىْ يَدْخُلانِ قفزًا مِن فَوْقِ سُورِ المحْرَابِ ، ولَيْسَ مِنْ بَابِهِ) ففزِعَ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْهُمَا وتعجّب كَيْف يَدْخُلانِ علَيْهِ ، بِرغْمِ وُجُودِ الْحُرَّاسِ بالْخَارِجِ !!

فَطَمْأنَهُ الرَّجُلانِ وقَالَ له أَحَدُهُمَا :

ـ لا تَخف نَحْنُ خصْمَانِ ، وقَدْ جِئْنَا نَحتكِمُ إلَيْكَ فِى أَمْرٍ مَا ، فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ ، وتَحرَّ الأَمْرَ قَبْلَ أَنْ تُصْدِرَ الْحُكْمَ ، حَتَّى تَهدِينَا إِلَى الْعَدْلِ فى هَذِهِ الْقَضِيَّةِ ..

فَقَالَ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

ـ مَا هِىَ الْقَضِيَّةُ ؟! تَكلَّما ..

فَقَالَ أَحَدُ الرَّجُلَيْنِ :

ـ إِنَّ هَذَا أَخِى (يَقْصِدُ أَخَاهُ فى الدِّين والصُّحْبَةِ) لَهُ تِسْعٌ وتِسْعُونَ نَعْجَةً ، وأَنَا لِى نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ ، وقَدْ طَلب مِنِّى أَخِى هَذَا أَنْ أُعطِيَهُ نَعْجَتى لِيَضُمَّها إِلَى نِعَاجِهِ فَيَصِيرَ لَدَيْهِ مِائَةُ نَعْجَةٍ ، ولا يُصْبح لَدَىَّ نِعَاجٌ عَلَى الإِطْلاقِ ، وقَدْ غَلَبَنِى فِى حُجَّتِهِ الْقَوِيَّةِ ..

وقَبْلَ أَنْ يَسْتَمِعَ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى الرَّجُلِ الآخرِ أَصْدرَ حُكْمَهُ قَائِلاً :

ـ لَقَدْ ظَلَمَكَ حِينَ طَلَبَ مِنكَ أَنْ تُقدمَ نَعْجَتكَ ، لِيَضُمَّها إِلَى نِعَاجِهِ .. وإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ ، إلا الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالحاتِ ، وهُمْ قَلِيلٌ ..

أَصْدَرَ دَاوُدُ حُكْمَهُ عَلى الرَّجُلِ الآخرِ ، دُونَ أَنْ يَسْتَمِعَ لِرَأْيِهِ فى الْقَضِيَّةِ ، وكَانَ مِنَ الْعَدْلِ أَنْ يُنْصِتَ لِلْخَصْمِ الآخرِ قَبْلَ أَنْ يُصْدِرَ حُكْمَهُ ، فَرُبَّمَا كَانَ الْخَصْمُ الآخرُ مُحقًا فى طَلَبِهِ ، ورُبَّمَا كَانَتْ لَهُ حُجَّةٌ قَوِيَّةٌ ..

وعَرَفَ دَاوُدُ أَنَّ الْخَصْمين اللَّذَيْنِ يَقِفَانِ أَمَامَهُ لَيْسَا رَجُلَيْنِ ، وإِنَّمَا هُمَا مَلَكَانِ فى صُورَةِ رَجُلَيْنِ ، فَعَلِمَ أَنَّ اللهَ قد ابْتَلاهُ بِالذَّنْبِ ، وامْتَحَنَهُ بِهذه الْقَضِيَّةِ ،الَّتى تَسَرَّعَ بِإِصْدَارِ حُكْمِه



فيها ، قبْلَ أنْ يَسْتمِعَ إلى الطَّرفَيْنِ ، وعَلِمَ أنَّهُ بذلِكَ قدْ تجاوزَ الْحقَّ ، ولِذلِكَ سارعَ داوُدُ عليه السلام باستِغْفارِ ربِّه عنْ تسرُّعِهِ ، فِى إصْدارِ حكْمِهِ ، وعدمِ تحرِّيهِ الْحقَّ ، وخرَّ راكِعًا لله تعالَى ، وتابَ إليْهِ ..

وقدْ حكَى الْقُرْآنُ الكريمُ هَذا الموْقِفَ فى قوْله تعالَى :

﴿ وَهلْ أتَاكَ نبأُ الْخَصْمِ إذْ تَسوَّرُوا الْمِحْرَابَ * إذْ دَخلُوا عَلَى دَاوُدَ ففزِعَ مِنْهُمْ قالُوا لا تَخفْ خصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ ولا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إلَى سوَاءِ الصِّراطِ * إنَّ هَذا أخِى لَهُ تِسْعٌ وتسْعُونَ نَعْجَةً ولِى نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فقَالَ أكْفِلْنِيهَا وَعزَّنِى فى الْخِطَابِ * قالَ لَقَدْ ظلَمَكَ بِسُؤالِ نَعْجَتِكَ إلَى نِعَاجِهِ وإنَّ كثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إلا الَّذِينَ آمنُوا وعَملُوا الصَّالِحَاتِ وقَلِيلٌ مَا هُمْ وظَنَّ دَاوُدُ أنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وخَرَّ رَاكِعًا وأَنَابَ * فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وإنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وحُسْنَ مَآبٍ ﴾

[الآيات من ٢١ـ ٢٥ من سورة ص]

اسْتمرَّ نبِى اللهِ داوُدَ عليه السلام يحْكُمُ فى النَّاسِ بِالْعدْلِ ، ولا يغْفُلُ عنْ ذِكْرِه وتسْبِيحِهِ وعِبادَتِه لله ـ تعالَى ، آناءَ اللَّيْلِ وأَطْرافَ النَّهارِ ..

وكان ذِكْرُهُ وتسْبِيحُهُ لله يفِيضُ حِكْمَةً وخُشوعًا .. ومِنْ أقْوالِ نبِى اللهِ داوُدَ عليه السلام قوْلُه :

ـ كُنْ لِلْيتِيمِ كالأَبِ الرَّحِيمِ ، واعْلَمْ أنَّكَ كمَا تزْرعُ ، كذلِكَ تحْصُدُ .

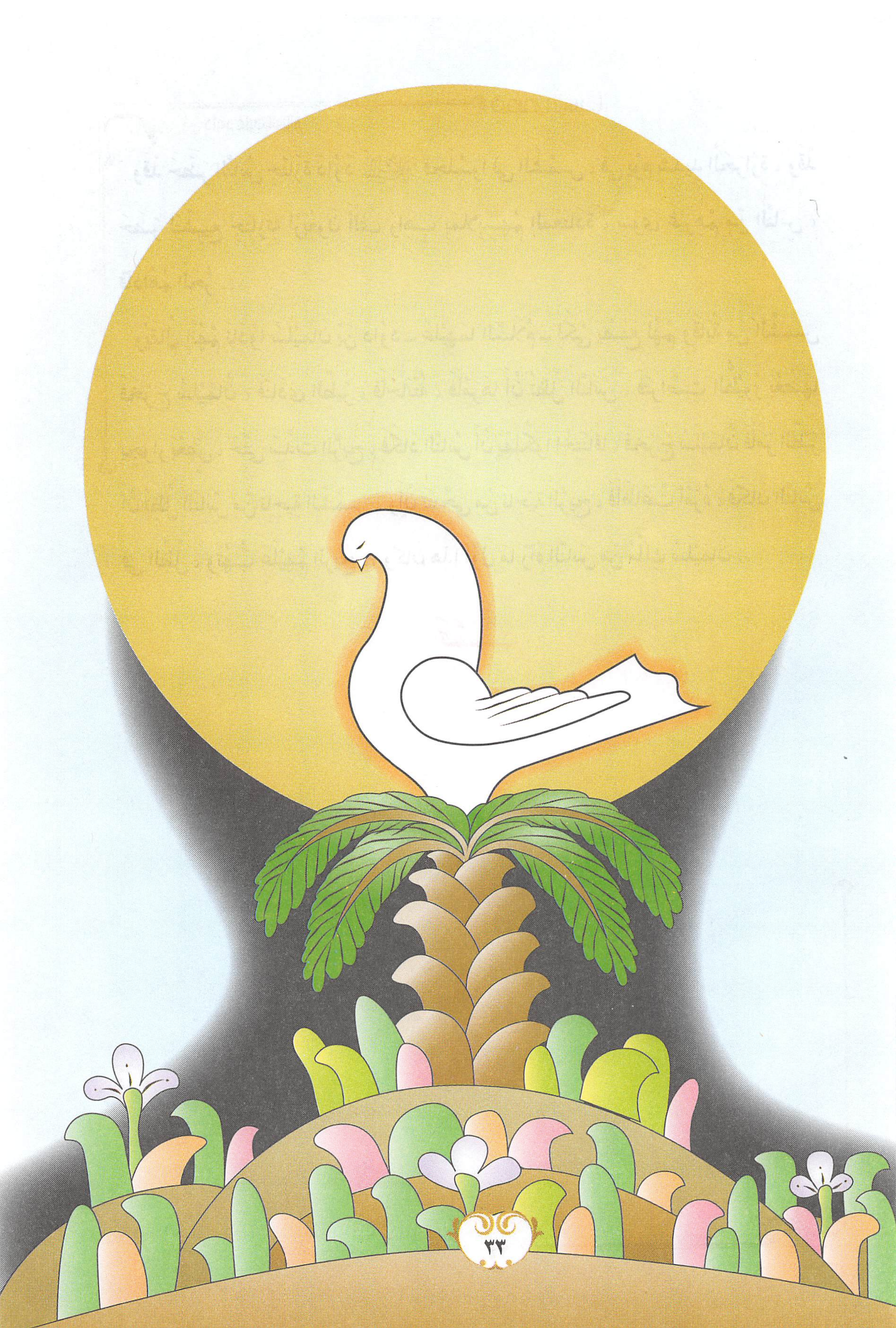
وقوْلُه :

ـ مَثلُ الْخطِيبِ الأَحْمَقِ فى نادِى الْقوْمِ ، كمَثلِ المغنِّى علَى رأْسِ الميتِ ..

وقوْلُه :

ـ ما أقْبحَ الْفقْرَ بعْدَ الْغنى ، وأَقْبحُ مِنْ ذلِكَ الضَّلالَةُ بعْدَ الْهدَى ..

وقدْ تُوفِّىَ داوُدُ عليه السلام وعُمْرُهُ مِائةُ سنَةٍ ..



وقَدْ حضَرَ النَّاسُ جِنازَةَ داوُدَ عليه السلام فَجلَسُوا فى الشَّمْسِ ، فى يَوْمٍ شَدِيدِ الْحَرارَةِ ، وقَدْ حَضَرَ لِتَشْيِيعِ جِنازَتِهِ أَرْبَعُونَ أَلْفَ راهِبٍ بِمَلابِسِهِمُ المعْتَادَةِ ، سِوَى غَيْرِهِمْ مِنَ النَّاسِ ، فآذاهُمُ الْحَرُّ ..

ويُقَالُ إِنَّهُمْ نَادَوْا سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ - علَيْهِمَا السَّلامُ - لِكَىْ يَصْنَعَ لَهُمْ وِقَايَةً مِنَ الشَّمسِ فَخَرَجَ سُلَيْمَانُ ، فَنَادَى الطَّيرَ ، فَأَجابَتْهُ ، فَأَمَرَهَا أَنْ تُظِلَّ النَّاسَ ، فَتراصَّتِ الطُّيُورُ بَعْضُهَا بِجِوارِ بَعْضٍ ، حَتَّى سَدَّتِ الرِّيحَ ، فَكَادَ النَّاسُ أَنْ يَهْلِكُوا اخْتِناقًا ، فَخَرَجَ سُلَيْمَانُ فَأَمَرَ الطَّيْرَ أَنْ تُظِلَّ النَّاسَ مِنْ نَاحِيَةِ الشَّمْسِ ، وأَنْ تَتَنحَّى مِنْ نَاحِيَةِ الرِّيحِ ، فَأَطَاعَتْ أَمْرَهُ ، فَكَانَ النَّاسُ فى الظِّلِّ ، وتَهُبُّ علَيْهِمُ الرِّيحُ .. وكَانَ هَذَا أَوَّلَ مَا رَآهُ النَّاسُ مِنْ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ..

تَمَّتْ

قصص الأنبياء

سليمان عليه السلام



نعمُ الله عليْه

تُوُفِّيَ نَبِيُّ اللهِ داوُدُ عليه السلام ودُفِنَ في مَوْكِبٍ مهيبٍ ، وَوَرِثَهُ ابْنُهُ سُلَيْمانُ عليه السلام في الْمُلْكِ والنُّبُوَّةِ والْعِلْمِ والْحِكْمَةِ ..

قالَ اللهُ تعالَى :

﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وقَالَ يأَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هذا لَهوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴾ [الآية ١٦ من سورة النمل]

وقَدْ أَخبَرَنا الرَّسُولُ الْكَريم صلى الله عليه وآله وسلم أَنَّ الأَنْبياءَ لا يُوَرِّثُونَ أَمْوالًا ، كما يُوَرِّثُ غيْرُهُمْ ، بلْ تكُون أَمْوالُهُمْ صدَقَةً مِنْ بَعْدِهِمْ للْفُقراءِ والْمُحْتَاجِينَ ، لا يَخُصُّونَ بها أَقْرِباءَهُمْ ..

إِذَنْ فقَدْ وَرِثَ سُلَيْمانُ دَاوُدَ فى الْمُلْكِ والنُّبُوَّةِ والْعِلْمِ والْحِكْمَةِ .. وزادَهُ اللهُ ـ تعالَى ـ عِلْمًا على عِلْمِ أَبِيهِ ..

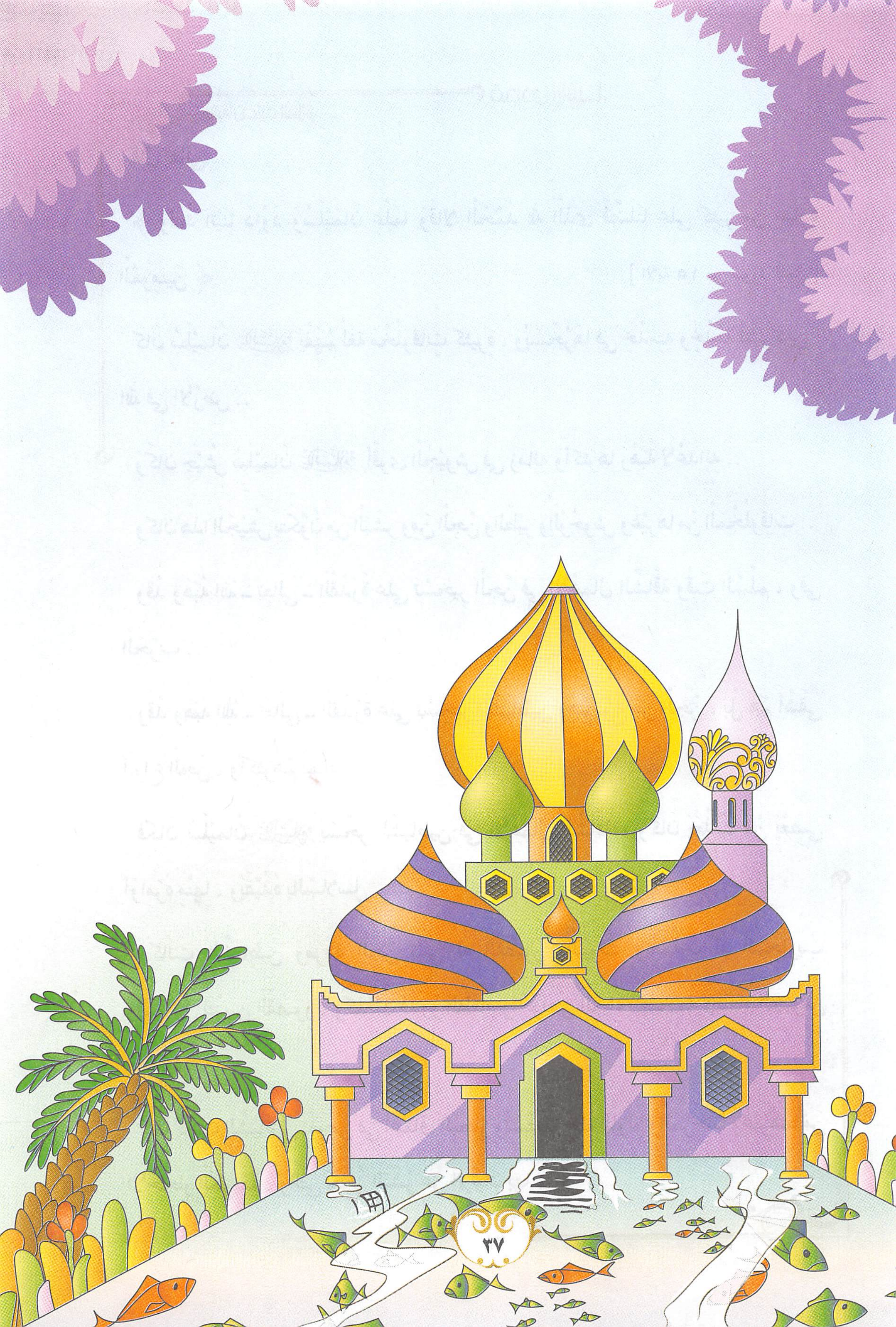
لقَدْ سَخَّرَ اللهُ ـ تعالَى ـ الطَّيْرَ والْجِبالَ ، لِتُسبِّحَ معَ دَاوُدَ وتُردِّدَ تَرْتِيلَهُ لِلزَّبُورِ ، لكنَّهُ زادَ سُلَيْمانَ على ذلكَ ، فعَلَّمَهُ لُغَةَ الطَّيْرِ والْحَيَوانِ ، وسخَّرَها لهُ ، لِتكُونَ فى خِدْمَتِهِ ، كما سَخَّرَ الْجِنَّ ومَرَدَةَ الشَّياطِينِ ، لِيَسْتَخْدِمَهُمْ فى الْقِيامِ بالأَعْمالِ الشَّاقَّةِ التى يَعْجِزُ الإِنْسُ عَنِ الْقِيامِ بِهَا مِنْ أَجْلِ خِدْمَةِ الْمَمْلَكَةِ .

لقَدْ كانَ نبيُّ اللهِ سُلَيمانُ عليه السلام يفْهَمُ لُغاتِ الطُّيورِ والْحَيَوانَاتِ ، ويَتَخاطَبُ معَ كُلِّ جِنْسٍ مِنْها بِلُغَته الْخَاصَّةِ بهِ ، وكانَ يُتَرْجِم لِلنَّاسِ لُغاتِ هذه الْمَخْلُوقاتِ ، ويُبَيِّنُ لهمْ مقَاصِدَهَا ..

وقدْ آتاهُ اللهُ ـ تعالَى ـ كُلَّ ما يَحْتاجُ إِلَيْه مُلْكُهُ منَ الْعُدَدِ والآلاتِ ،الأَسْلِحَةِ والْجُيُوشِ والْجُنُودِ منَ الإِنْسِ والْجِنِّ والطُّيُورِ والْوُحُوشِ والْعُلُومِ وغَيْرِها ..

وهذا هو الْفَضْلُ الْمُبينُ مِنَ اللهِ على سُلَيْمَانَ وأَبِيهِ مِنْ قَبْلِهِ ..





قالَ تعالَى :

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالا الْحَمْدُ للهِ الَّذِى فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الآية ١٥ من سورة النمل]

كانَ سُلَيْمانُ عليه السلام يَفْهَمُ لُغَةَ مَخْلُوقاتٍ كثيرةٍ ، ويُسَخِّرُهَا فى خِدْمَتِهِ وخِدْمَةِ نَشْرِ دِينِ اللهِ فى الأَرْضِ ..

وَكَانَ جيْشُ سُلَيْمانَ عليه السلام أقْوى الْجُيُوشِ فى زَمَانِهِ وَأَكثرَهَا رَهْبَةً لأَعْدائِهِ ..

وكانَ هذا الْجَيْشُ يتكوَّنُ مِنَ الْبَشَرِ ومِنَ الْجِنِّ والطَّيْرِ والْوُحُوشِ وغَيْرِها من الْمَخْلُوقاتِ ..

وقدْ وهَبَهُ اللهُ ـ تعالَى ـ الْقُدْرَةَ على تسْخِيرِ الْجِنِّ فى الأعْمال الشَّاقَّةِ وقْتَ السِّلْمِ ، وفى الْحَرْبِ ..

وقدْ وهَبَهُ اللهُ ـ تعالَى ـ الْقُدْرَةَ على تسْخيرِ الشَّياطِينِ وهمْ نَوْعٌ مِنَ الْجِنِّ ، بلْ هُمْ أَشْقى أنواعِ الْجِنِّ ، وأكْثرُهمْ تمَرُّدًا ..

فكانَ سُلَيْمانُ عليه السلام يُسخِّرُ الشَّياطِين فى الأَعْمالِ الشَّاقَّةِ ، وكانَ يُعذِّبُ مَنْ يَعْصى أَوامِرَهُ مِنها ، ويُقيِّدُهُ بالسَّلاسِلِ ..

وكانَتِ الشَّياطِينُ وَمرَدَةُ الْجِنِّ تَبْنِى لهُ الْقُصُورَ والْبُيُوتَ ويعْمَلُونَ له الْمَحارِيبَ والتَّماثِيلَ لِتَزيِينِ الْقُصُورِ ، وكذلكَ قُدُورَ الطَّعامِ وأحْواضَ الْمِياهِ الضخمةَ لإطعام الجيوش الكثيرة ..

كما كانَتِ الشَّياطِينُ تَغُوصُ فى أَعْماقِ الْبِحارِ وتَسْتَخْرِجُ له اللُّؤْلُؤَ والْمَرْجَانَ وغَيْرَهُما من الأَحْجارِ الْكَرِيمَةِ ، والَّتى يَعْجزُ الْبَشَرُ عنِ الإتْيانِ بِها ..



قالَ تعالَى :

﴿ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ * يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ ﴾ .

[من الآيتين ١٢ ، ١٣ من سورة سبأ]

و كانتِ الطُّيورُ فى جَيْشِ سُلَيْمانَ عليه السلام تقومُ بِمُهِمَّةِ الاسْتطْلاعِ ، فكانتْ تطيرُ بَعيدًا وتسْتَطْلِعُ مَواقِعَ جُيُوشِ الأَعْداءِ ، وتُقَدِّرُ أعْدادَهَا ، وقُوَّةَ تسْليحِها ، وكَفاءَتَها فِى الْقِتالِ ، وترْصُدُ تحرُّكَاتِها ، ثُمَّ تعودُ لسُلَيْمانَ بهذهِ الأَخْبارِ ، فيُقَدِّرُ على أَسَاسِهَا قُوَّةَ أَعْدائِهِ ، وأَعْدادَ الْجُيُوشِ ، التى سَيُرْسِلُها إِلَيْهِمْ ..

كما كانَتِ الطُّيُورُ تقومُ بِمهامَّ أُخْرَى مثْلِ الْبَحْثِ عَنِ الْمِياهِ فى الصَّحارَى ، لإِمْدادِ الْجُيُوشِ بِحَاجَتِها مِنْها وقْتَ الْحَرْبِ فلا تَهْلك ..

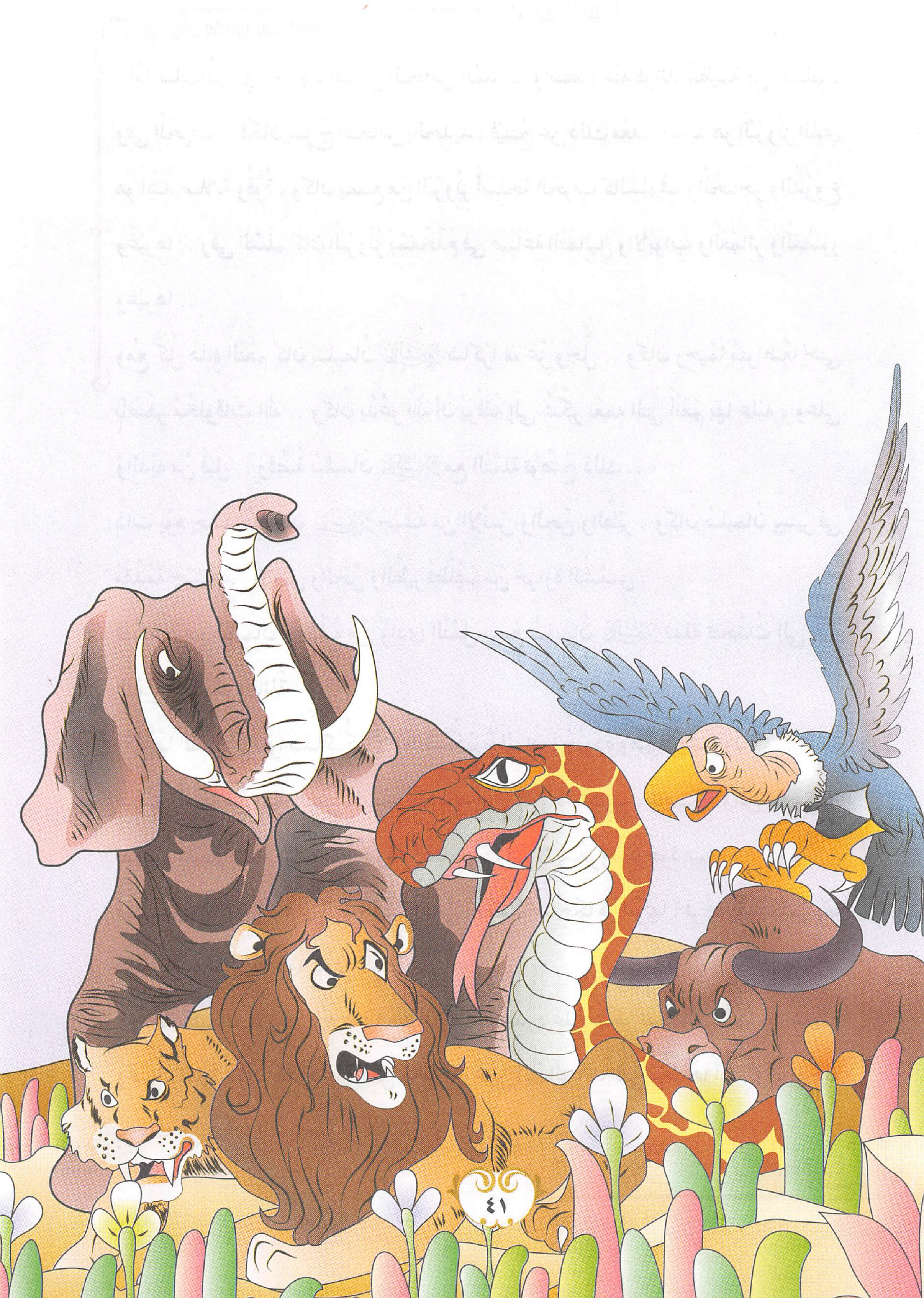
كما كانَتِ الطُّيُورُ تقُومُ بتظْليلِ سُلَيْمانَ وجُنُودِهِ مِنْ حَرارَة الشمْسِ ، وقدْ رأَيْنا أَنَّها قامَتْ بِتظْليلِ النَّاسِ مِنَ الْحَرِّ فى مَوْكبِ دَفْنِ داوُدَ عليه السلام ..

ومِنْ نِعَمِ اللهِ ـ تعالَى ـ علَى سُلَيْمانَ أَنَّهُ سخَّرَ لهُ الرِّيحَ تَحْمِلُهُ هو وجُيُوشَهُ إِلَى أَىِّ مكَانٍ يَشاءُ الذَّهابَ إِلَيْه ، لِقتالِ أعْدائه .. ونَشْرِ دِينِ اللهِ ـ تعالَى ـ فى الأَرْضِ ..

ومِنْ نِعَمِ اللهِ ـ تعالَى ـ على سُلَيْمانَ ، إِنَّهُ أَسالَ لَهُ « عَيْنَ الْقِطرِ » .. والْقِطْرُ هو النُّحاسُ الْمُذابُ ..

وقدْ أَنْعَمَ اللهُ ـ تعالَى ـ على داوُدَ مِنْ قَبْلُ ، فأَلانَ لَهُ الْحَديدَ ، لِصناعَةِ آلاتِ الْحَرْبِ ، وصِناعَةِ الدُّرُوعِ الْمُسَرَّدَةِ ..





أمَّا سُليمانُ عليه السلام فقدِ اسْتغلَّ النُّحاسَ الْمُذابَ واسْتَفادَ منْهُ فوائِدَ عَظِيمَةً فى السِّلْمِ ، وفى الْحَرْبِ .. فكان يَمْزِجُ النُّحاسَ بالْحديدِ ، فَيَنْتُجُ عَنْ ذلك مَعْدِنٌ جديدٌ هو البُرُونز الذى هو أَشَدُّ صَلابَةً وقُوَّةً ، وكانَ يصْنَعُ مِنَ الْبُرُونْزِ أَسْلحةَ الْحَرْبِ كالسُّيُوفِ والْخَناجِرِ والدُّرُوعِ وغَيْرِها .. وفى السِّلْم كانَ الْبُرُونْزُ يُسْتَخْدَمُ فى صِناعَةِ التَّماثِيلِ والأَبْوابِ والعَمَائِرِ والْقُصُورِ وغيْرِها ..

ومعَ كلِّ هذهِ النِّعَمِ كانَ سليمانُ عليه السلام شاكرًا لله عزَّ وجلَّ .. وكان رحِيمًا مُتواضِعًا حتى بأصْغرِ مَخلوقاتِ الله .. وكان يدْعُو اللهَ أَنْ يُوَفِّقَهُ إِلى شُكْرِ نِعَمِهِ التى أَنْعَمَ بها عليْه ، وعلى والِدَيْه مِنْ قَبْلُ .. وقصَّةُ سُليمانَ عليه السلام مع النَّمْلَة تُوَضِّحُ ذلك ..

ذاتَ يوْمٍ حَشَدَ سُليمانُ عليه السلام جَيْشَهُ مِنَ الإِنْسِ والْجنِّ والطَّيْر ، وكانَ سُليمانُ يسيرُ فى مُقَدِّمَةِ جَيْشِه مِنَ الإِنْسِ والْجِنِّ والطَّير تُظَلُّهُمْ منْ حَرارةِ الشمْسِ .

فلمَّا اقْتَربَ سُليمانُ وجيْشُهُ منْ وَادى النَّمْل سَمِعَ سُليمانُ عليه السلام نملَةً تتحدَّثُ إِلى بقِيَّةِ النمْلِ ، وتُحَذِّرُهُ قائلةً :

﴿ يَأَيُّها النَّمْلُ ادْخُلوا مَساكنَكُمْ لا يَحْطمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرونَ ﴾ ..

طَلبتِ النَّمْلةُ مِنْ بقيَّةِ النَّملِ أَنْ يُسْرِعوا بالدُّخولِ إِلى مَساكِنِهم ، تحتَ الأَرْضِ ، حتى لا تدوسَ عليْهِمْ أَقْدامُ سُلَيْمانَ وجُنودِهِ فيقْتُلونَهمْ وهمْ لا يَشْعُرون بوُجودِهم ..

فَهِمَ سليمانُ عليه السلام قوْلَ النَّمْلةِ لِبَقِيَّةِ النملِ ، فتبَسَّمَ ضاحِكًا مِنْ قَوْلِها ، فَرِحًا ومُسْتَبْشِرًا بما أَطْلَعَهُ اللهُ ـ تعالَى ـ عليْه دُونَ غَيْرِه ..

ودعَا سُليمانُ عليه السلام ربَّهُ طالبًا مِنه أَن يُعينَهُ ويُقْدِرَهُ على شُكْرِ نِعَمِهِ الَّتى أَنْعَمَ بها عليْهِ ، وعلى والِدَيْه ، وأَنْ يُقْدِرَهُ على فعْلِ الْخَيْرِ ، وعَملِ الصَّالحاتِ التى يَرْضاها الله ، وأَنْ يُدْخِلَهُ بِرَحْمَتِه فى عِبادِه الصَّالِحين ..



ويُقَالُ إنَّ سُلَيْمانَ عليه السلام قَدْ أَصْدَرَ أمْرًا لِجَيْشِهِ بالتَّوَقُّفِ ، حتى يتمكَّنَ جميعُ النَّمْلِ مِنَ الدُّخولِ إلَى مَسَاكِنِه ، قبْلَ مُرُورِ الْجَيْشِ عليْهِ وقَتْلِهِ ..

ويُقَالُ أَيْضًا إِنَّهُ أَصْدَرَ أَمْرَهُ إلَى الْجَيْشِ بِتَغْيِيرِ خطِّ سَيْرِه ، والْمُرُورِ مِنْ طَرِيقٍ آخَرَ ، حتى لا تَهْدِمَ أَقْدَامُ الْجُنُودِ وادِىَ النَّمْلِ .

وقدْ وردَتْ قِصَّةُ حديثِ سُلَيْمانَ عليه السلام مَعَ النَّمْلَةِ فى هذه الآياتِ مِنْ سُورةِ النَّمْلِ :

﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِى النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَأَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لاَ يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ * فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِى أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِى أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَى وَالِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ .

[الآيات ١٧ – ١٩ من سورة النمل]

والْمُرادُ بوالِدَيْهِ هُنا أَبُوهُ دَاوُدُ عليه السلام وأُمُّهُ ، فقَدْ كانَتْ مِنَ الْعابداتِ الصَّالِحاتِ .. وقدْ وَرَدَ فى الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِى صلى الله عليه وآله وسلم أَنَّهُ قالَ :

« قالَتْ أُمُّ سُلَيْمانَ بْنِ دَاوُدَ : يا بُنَىَّ لا تُكْثِرْ مِنَ النَّوْمِ باللَّيْلِ ، فإِنَّ كَثْرَةَ النَّوْمِ باللَّيْلِ تجْعَلُ الْعَبْدَ فقيرًا يوْمَ الْقِيامَةِ » .

فهى تَحُثُّ ولَدَها على قِيامِ جُزْءٍ مِنَ اللَّيْلِ لِعبادَةِ اللهِ ـ تعالَى ـ حتَّى لا يأْتِىَ يوْمَ الْقِيامَةِ فقِيرًا مِنَ الْحَسَناتِ .. ولِسُلَيْمانَ مَعَ النَّمْلِ قِصَّةٌ أُخْرَى ، فيُحْكَى أَنَّهُ قدْ أَصابَ النَّاسَ قَحْطٌ على عَهْدِ سُلَيْمانَ ، مِنْ عدَمِ نُزولِ الْمَطَرِ ، ويُقَالُ إِنَّ سُليمانَ عليه السلام قدْ خرَجَ مع النَّاسِ للاِسْتِسْقَاءِ (وهُوَ التَّوَجُّهُ إِلَى اللهِ ـ تعالَى ـ بالصَّلاةِ والدُّعاءِ فى الْخَلاءِ طَلَبًا لِنُزُولِ الْمَطَرِ) .



فرأى سُليمانُ عليه السلام نملةً قائمَةً ، أىْ واقِفَة على رِجلَيْها ، وقدْ فَردَتْ يَديْها ، وهى تَدْعُو اللهَ وتَقولُ :

ـ اللَّهُمَّ أنَا خَلقٌ مِنْ خلقِكَ ، ولا غناءَ بنا عَنْ فَضْلِك ..

فقالَ سُليمانُ عليه السلام لِلنَّاس :

ـ ارْجِعُوا فَقَدْ سُقيتُمْ .. إنَّ هذِه النَّمْلَةَ استَسْقَتْ فاسْتُجيبَ لهَا ..

أىْ أَنَّها دَعَت اللهَ ـ تعالَى ـ بنُزُولِ الْمَطَرِ ، فاسْتَجابَ اللهُ ـ تعالَى ـ دُعَاءَهَا ..

ورجَعَ سُليمانُ بالنَّاسِ ، فنزَلَ عليْهِمُ الْمَطَرُ ..

وهذِهِ كلُّها مِنْ نعمِ اللهِ ـ تعالَى ـ على عَبْده ونَبيِّهِ سُليمانَ بْنِ دَاوُدَ ـ عليْهِما السَّلامُ ..

قصة بلقيس

ذاتَ يوْمٍ حشَدَ نَبِى اللهِ سُلَيْمانُ عليه السلام جيْشَهُ استِعْدادًا لِلْخُروجِ مُجاهِدًا فِى سَبيلِ اللهِ ..

وكانَ مِنْ عادَةِ سُلَيْمانَ عليه السلام أَنْ يتفقَّدَ الْجيْشَ ، ويُتَمِّمَ عليْه قبْل رَحيلِه .. وكانَ الْجَيْشُ يتكوَّنُ مِنَ الإنْسِ والْجِنِّ والطَّيْرِ ـ كمَا سبَقَ وعلِمْنا ..

تفَقَّدَ سُلَيْمانُ عليه السلام جُنودَهُ مِنَ الإِنسِ ، ثمَّ تفقَّدَ جُنودَهُ مِنَ الْجِنِّ ، فوجَدَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُم فِى مَوْقعِهِ الْمُحدَّدِ له مِنَ الْجَيْشِ ..

ثم بَدَأَ يُفَتشُ عَنِ الطَّيْرِ ، فلَمْ يَجدِ الْهُدْهُد فى مَكَانِهِ الْمُعْتَادِ مِنَ الْجَيْشِ ، فتَسَاءَلَ قَائِلًا :

﴿ مَا لِىَ لاَ أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴾ .

ولَمْ يَجرُؤْ أَحَدٌ مِنَ الطُّيورِ أَنْ يَرُدَّ على سُليمانَ ، لِيُخبِرَهُ أَيْنَ ذهَبَ الْهُدْهُدُ .. لأَنَّ أَحدًا لمْ يكُنْ يَعْلَمُ مَكَانَهُ ..



وغضبَ نبيُّ اللهِ سُليْمانُ عليه السلام لأنَّ الهُدْهُدَ تغيَّبَ عنْ مكانِه منَ الْجَيْشِ بدُونِ إذْنِه ، وهدَّدَ بأنَّهُ سوْفَ يُعذِّبُ الْهُدْهُدَ عذابًا شدِيدًا ، أَوْ ليَذْبحنَّهُ ، إذا لمْ يأْتِه بعُذْرٍ أوْ سببٍ مقْبُولٍ يُبرِّرُ به تَغَيُّبَهُ دُونَ إذْنٍ ..

لقدْ كانَتْ وظِيفَةُ الْهُدْهُدِ فى جَيْشِ سُلَيْمانَ وظِيفَةً مُهمَّةً ، خاصَّةً فى الأَسْفارِ الْبَعِيدَةِ ..

فقدْ كانوا إذا احْتَاجُوا إلَى الْماءِ ، وهمْ مُسافِرُونَ فى الصَّحارَى ، يَقُومُ الْهُدْهُدُ بالتَّحْليقِ إلَى أَعْلى ويسْتَطْلعُ الْمكانَ بَحْثًا عنِ الْماءِ ، فإِذَا عثَرَ علَيْه تحتَ الأرْضِ ، دلَّهُم على مَكانه ، فيَحْفرُونَ الأَرْضَ لاسْتِخْراجِهِ ، وقدْ وَهَبَ اللهُ ـ تعالَى ـ الْهُدْهُدَ قُوَّةً لتَعرُّفِ الْماءِ تحت طبَقاتِ الأَرْضِ ..

ولم يَمْضِ وَقْتٌ طَويلٌ ، حتَّى حَضرَ الْهُدْهدَ ، وحَطَّ قرِيبًا مِنْ نَبيِّ اللهِ سُليمانَ عليه السلام وكانَ واضِحًا علَى هيْئَةِ الْهُدْهُدِ أنَّهُ قدِمَ مِنْ سَفرٍ بعِيدٍ ..

وقبْلَ أنْ يَسْأَلَهُ سُليمانُ عَنْ سببِ تَغيُّبِه عنْ مَكَانِه فى الْجَيْشِ بادَرَه الْهُدْهُدُ بالْحَديث قائِلًا :

﴿ أَحطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبأ بنبأ يَقِينٍ ﴾ .

ومعْنَى كَلامِ الْهُدْهُدِ أنهُ اطَّلعَ على ما لَمْ يَطَّلِعْ علَيْهِ سُلَيْمانُ ، وجاءَهُ بِخَبرٍ صَادِقٍ مِنْ مَمْلَكَةِ سَبأٍ ببلادِ الْيَمَنِ ..

وأَكْملَ الْهُدْهُدُ كلامَهُ قائلًا :

﴿ إِنِّى وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ * وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ ﴾ .



أَخْبَرَهُ الْهُدْهُدُ أَنَّهُ قدْ ذهبَ إِلَى مَمْلَكَة سَبأ باليَمَنِ ، ووجَدَ على رأسِ الْمَمْلَكَة امْرَأةً ، وأنَّ هذه الْمَلَكَة لها عَرْشٌ عَظِيمٌ يدُلُّ على الثَّراءِ والْقُوَّة ، وبِرَغْمِ ذلِكَ فإِنَّ هذه الْمَلِكَةَ هى وَقَوْمُها يَعْبُدُونَ الشَّمْسَ مِنْ دُونِ اللهِ ـ تعالَى ـ وأَنَّ الشَّيْطانَ قدْ أَضَلَّهُمْ وصَدَّهُمْ عَنْ عِبادةِ اللهِ وحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ ..

وأَنْكَرَ الْهُدْهُدُ على بِلْقيسَ مَلِكَةِ سَبأٍ وقَوْمِها عبادَةَ غيْرِ اللهِ قائلًا :

﴿ أَلَّا يَسْجُدُوا للهِ الَّذى يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِى السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ ويَعْلَمُ ما تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ * اللهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ .

قالَ الْهُدْهُدُ لِسُليمانَ : إِنَّهُ كَانَ الأَوْلَى بهمْ أَنْ يَعْبُدُوا اللهَ ، الذى يَعْلَمُ كُلَّ شَىْءٍ فى السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ ..

اللهُ الَّذى يعْلَمُ السَّرائِرَ ويعْلَمُ ما نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ مِنَ الأُمُورِ .. اللهُ الذى لهُ عَرْشٌ عَظِيمٌ لا يُدانِيهِ عَرْش أَعْظَمِ مَخْلُوقاتِهِ مَهْمَا عَلاَ شأْنُهُ ..

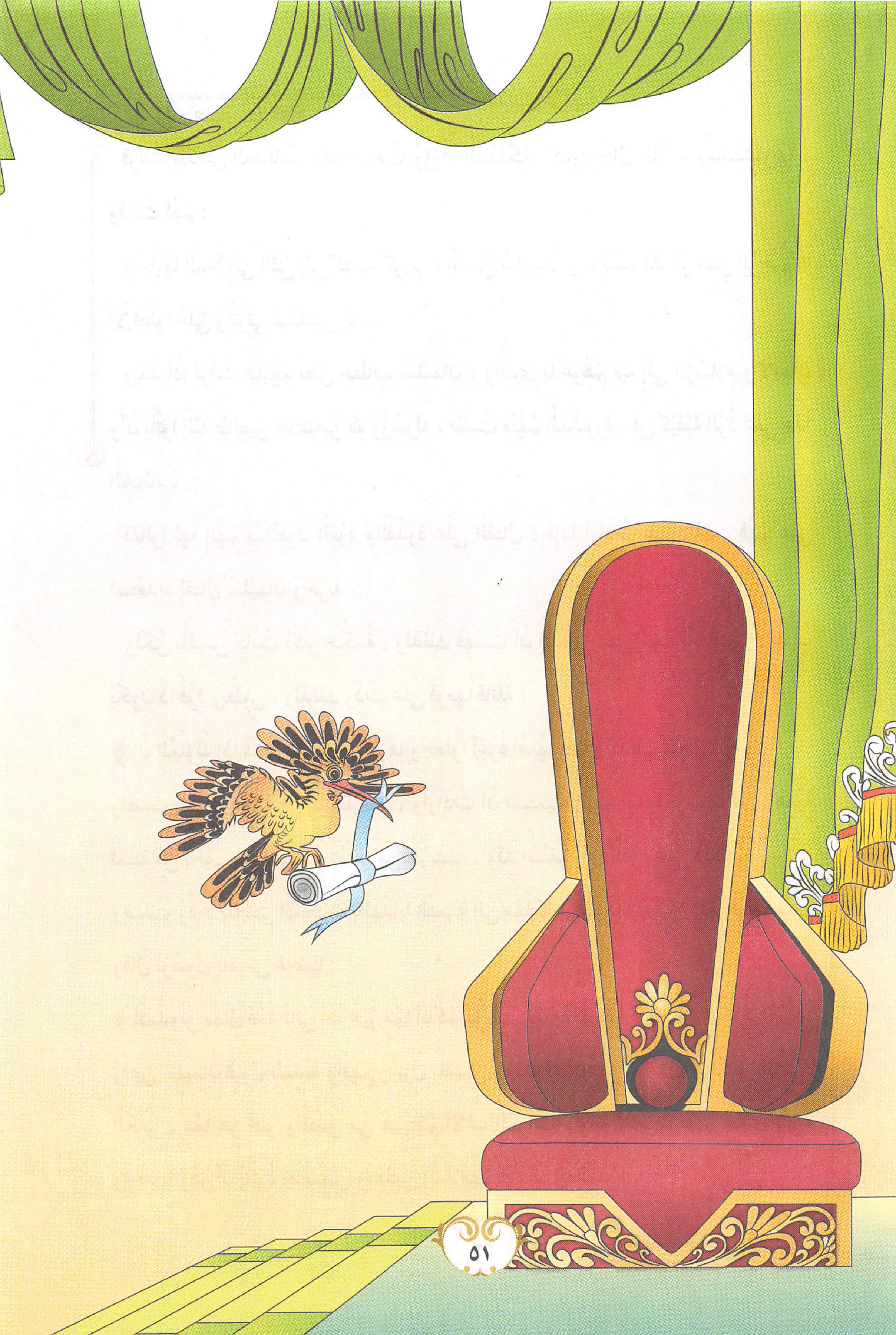
والْوَاضِحُ مِنْ كَلامِ الْهُدْهُدِ أَنَّهُ مُؤمِنٌ عاقِلٌ وَذكِى ..

فلَمَّا انْتَهى الْهُدْهُدُ مِنْ كَلامِه ، قالَ سُلَيْمانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

﴿ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ .

ثمَّ كتَبَ نبىُّ اللهِ سُليمانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ خطابًا لِبلقيسَ وقوْمِها يدْعُوهُمْ فِيهِ إِلَى الإيمانِ باللهِ وسَلمَهُ إِلَى الْهُدْهُدِ ، طَالبًا منهُ أَنْ يحمِلَ الْخطابَ ويُسافِرَ بهِ إِلَى مَمْلَكَةِ سَبأٍ ، فيُلْقِيَهُ إِلَيْهِمْ ، ثمَّ يتَوَلى عنهُمْ ، ناظِرًا ماذا يفْعَلونَ ، وبِماذا يَرُدُّونَ عليْه ..

حمَلَ الْهُدْهُدُ الْخطابَ وسَافَرَ بهِ إِلَى مَمْلَكَةِ سَبأٍ ، ثمَّ دخَلَ قصْرَ بِلْقيس ، وأَلْقَى الْخِطَابَ على كُرْسِىِّ عَرْشِها ..



قرأتْ بِلْقيسُ الْخِطاب ، ثم جمعَتْ وُزَراء المَمْلكة وكِبَار رجَالِ الدَّوْلَة ومُسْتَشَارِيها ، وقالتْ لهُمْ :

﴿ يأَيُّها الْمَلأُ إنِّى أُلْقِىَ إلَىَّ كِتَابٌ كَرِيم * إنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وإنَّهُ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم * ألاَّ تعْلُوا عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلمين ﴾ ..

وبعْدَ أنْ قرَأتْ عليْهِمْ نصَّ خِطَابِ سُلَيْمانَ ، والَّذى يدْعُوهُمْ فِيه إلَى الإسْلامِ والإيمانِ وأنْ يأْتُوا إلَيْهِ طَائِعِينَ خاضِعِينَ للهِ وَرَسُولِه ، طَلَبَتْ مِنْهُمُ الْمَشُورَةَ ، فى كَيْفِيَّةِ الرَّدِّ على هذا الْخِطابِ ..

فقَالوا لها إنَّهُمْ يَمْلِكُونَ الْقُوَّةَ والْقُدْرَةَ على الْقِتَالِ ، فإذا أَرَادتْ هى ذلك ، فهُمْ على اسْتِعْدَادٍ لِقِتَالِ سُلَيْمانَ وحَرْبِه ..

ولكنَّ بِلْقيسَ كانَتْ أكْثَرَ حِكْمَةً ، ولِذلكَ فهِمَتْ أنَّ الذِى أَرْسَلَ إليْها الْكِتابَ ، لابُدَّ أنْ يَكُونَ ذا قُوَّةٍ وبَطْشٍ ، ولِذلِكَ ردَّتْ على قوْمِها قَائِلةً :

﴿ إنَّ الْمُلُوكَ إذَا دخلوا قَرْيَةً أفْسَدُوهَا وجَعَلوا أعِزَّةَ أهْلِهَا أذلَّةً وكَذلكَ يفْعَلُون ﴾ .

رَفضَتْ بِلْقيسُ فِكْرَةَ حرْبِ سُلَيْمان ، وأَرَادتْ أنْ تَسْتميلَهُ إلَيْهِمْ بهدِيَّةٍ تُرْسِلُهَا له .. هَدِيَّةٍ ثَمِينةٍ مِنْ تُحَفِ بِلادِ الْيَمَنِ ، تَمْنَعُهُ مِنْ حَرْبِهِم .. وقَدِ اسْتَقرَّ رأْىُ الْقَوْمِ على ذَلِك ..

وصَلَتْ وُفُودُ بِلْقيسِ الْمُحَمَّلَةُ بالْهَدايا الثَّمِينَةِ إلَى مَمْلَكَةِ سُلَيْمانَ عليه السلام فلَمْ يَقْبَلْها مِنْهُمْ وقالَ لِرَسُولِ بلْقيس غاضِبًا :

﴿ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فمَا آتانِى اللهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴾ .

رَفَضَ سُليمانُ قَبُولَ الْهَدِيَّةِ وأَفْهَم رَسُولَ بِلْقيسَ أنَّ اللهَ قَدْ آتَاهُ مِنَ الأَمْوَالِ والْكُنُوزِ الشَّىْءَ الْكَثِيرَ ، مِمَّا هُوَ خَيْرٌ وأَفْضَلُ مِنْ هَدِيَّتِهِمْ آلاف الْمَرَّاتِ ، وأنَّهُ لا يُرِيدُ منْهُمْ سِوَى شَىْءٍ وَاحِدٍ ، وهُوَ أنْ يَأْتُوهُ خَاضِعِينَ ومُعْلنِينَ إسْلامَهُمْ للهِ رَبِّ الْعَالَمين ..



وهَدَّدَ سُلَيْمانُ بِلْقيس وَقَوْمَها ـ إذا لَمْ يَتَخَلَّوْا عَنْ كُفرِهِمْ ويأتُوهُ طَائِعين مُسْلِمين ـ بأَنَّهُ سَوْفَ يَغْزُوهُمْ فى بِلادِهِمْ بِجُنُودٍ لا قُدْرَةَ لهُمْ على قِتالِهِمْ أَوْ حَرْبِهِمْ ، وأَنَّهُ سوْف يُخرِجُهُمْ مِنْ بِلادِهِمْ أَذِلَّةً مُجلَّلينَ بالْعارِ والدَّمارِ ..

وهكَذا عادَتْ وُفودُ بلْقيس إلى مَمْلَكَة سَبأٍ مُحَمَّلينَ بالْهَدايَا التى أَرْسَلُوهَا لاسْتمالة سُلَيْمان إلَيْهِمْ ، وصَدِّه عنْ حَرْبِهِمْ ، فلمَّا أَخْبَرَتِ الْوُفودُ بلْقيس وقَوْمَها بِمَا رَأَتْهُ مِنْ عَظَمَةِ وَثَراءِ مُلْكِ سُلَيْمانَ ، وقُوَّةِ جُيُوشِه ، وما سَمِعُوهُ مِنْ تَهْديده بغَزْوِ بلادِهِمْ وإخْراجِهِم مِنْها أَذِلَّةً ، لَمْ يَجِدُوا مَفَرًّا مِنَ الْخُضُوعِ والإذْعَانِ لسُلَيْمان عليه السلام ..

وهكَذا قَرَّرَتْ بِلْقيسُ وَوُزَراؤُها وكبارُ رِجال مَمْلَكتِها السَّفَرَ إِلَى مَمْلَكةِ سُلَيْمانَ عليه السلام فى فِلَسْطِينَ مُعْلنينَ خُضُوعَهُمْ لهُ ، وإسْلامَهُمْ على يَدَيْه ..

وعَلِمَ نَبِيُّ اللهِ سُليمانُ عليه السلام بأَنَّ بِلْقيس وقَوْمَها فى طَريقهِمْ إِلَى مَمْلَكتِهِ ، فأَرادَ أَنْ يَصْنَعَ لِبلْقيس وقَوْمَها مُفاجَأَةً تذْهِلُهُمْ ، وتُبيِّنُ لهمْ مَدَى قُوَّتِه وقُدْرَتِه ، وما فَضَّلَهُ اللهُ ـ تعالَى ـ بِه ، ومَكَّنه فِيه من خوارِقِ الْمُعْجزاتِ ..

قرَّرَ سُليمانُ عليه السلام أنْ يُحضِر عَرْشَ بلقيس ، لِتجدهُ فى انْتِظارِهَا عِنْدَمَا تصِلُ وقَوْمُها إلى مَمْلَكَتِه ..

وكانَ سليمان عليه السلام جالسًا فى مجْلِسِ حُكْمِهِ ، وحَوْلَهُ كِبَارُ رِجَالِ الْمَمْلَكَةِ مِنَ الإنْسِ والْجِنِّ ، فسَأَلَ مَنْ حَوْلَهُ : أيهُمْ يَسْتطيعُ إحْضارَ عَرْشِ بلْقيس ، قبْلَ أَنْ تَصِلَ هى وقَوْمُهَا إِلَيْه مُسْلِمينَ ؟

فرَدَّ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ قائلًا :

ـ أنَا أَسْتَطيعُ إحْضارَ عَرْشِ بلْقيسَ ، قبْلَ أنْ تَقُومَ مِنْ مجْلِسِ حُكْمِكَ هذا ..

وكانَ مَجْلِسُ سُليمانَ عليه السلام يَمْتَدُّ مِنْ أَوَّلِ النَّهارِ إِلَى ما قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ ..



وقالَ الذى عِنْدَهُ علْمٌ مِنَ الْكتابِ :

ـ أَسْتَطِيعُ إِحْضارَه قبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُك .. (أَىْ قَبْلَ أَنْ يَرْمِش سُليمانُ عليه السلام بِعَيْنِه) ..

ولَمْ يَكَدِ الَّذى عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ يُتِمُّ كَلامَهُ ، حتَّى رَأَى سُليمانُ عليه السلام عرْش بِلقيس مُسْتَقِرًّا أَمَامَهُ ..

فقالَ سُليمانُ عليه السلام :

﴿ هذا مِنْ فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِى أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴾ .

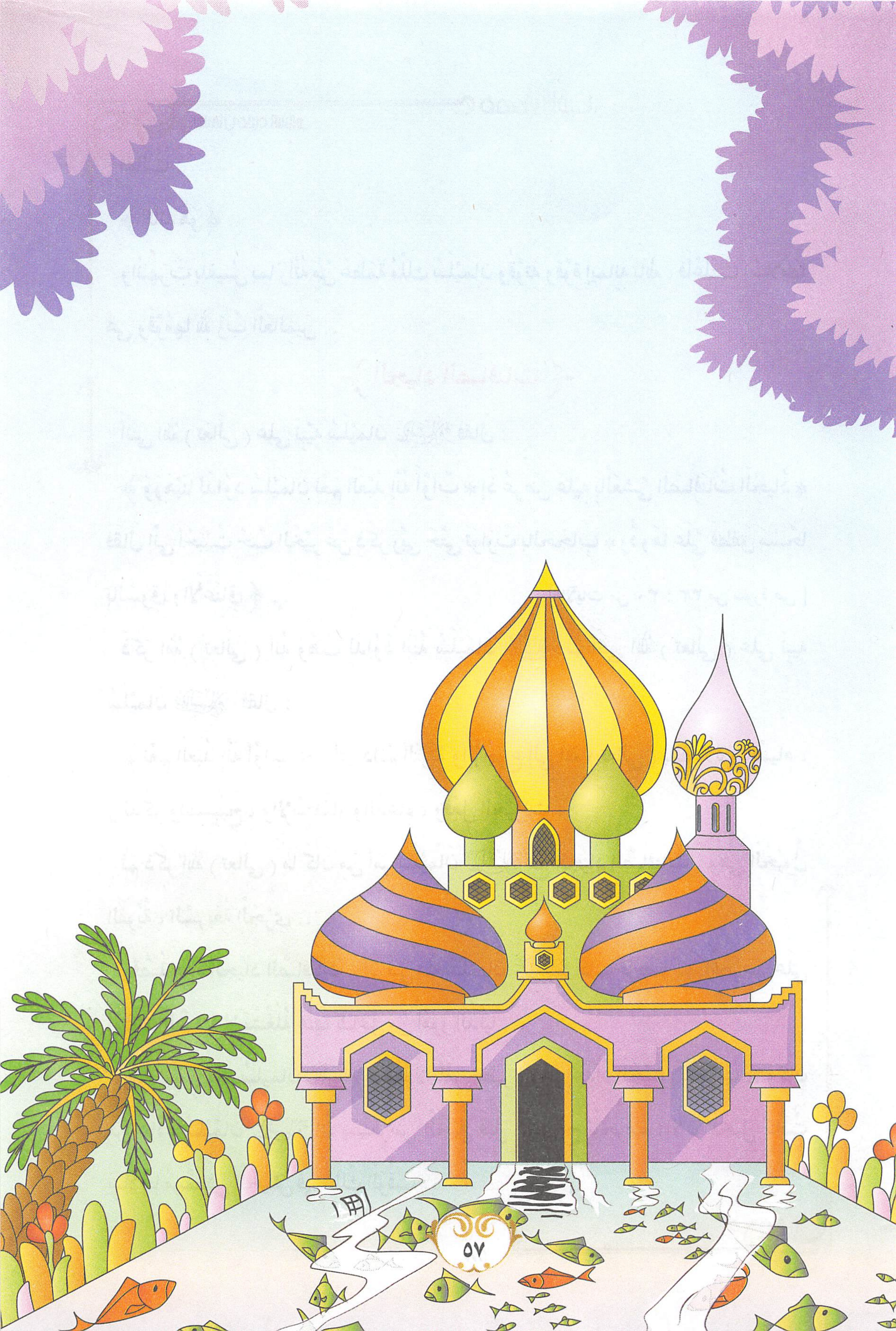
وبَعْدَ أَنْ شَكَرَ سُليمانُ رَبَّهُ ـ تعالَى ـ على هذِه النِّعَمِ الَّتى أنْعَمَ بها علَيْه ، أَمَر بِإجْرَاءِ بعْضِ التَّعْدِيلاتِ فى الْعَرْشِ ، لِيَرَى إِذَا كَانَتْ بِلْقيسُ سَوْفَ تتمكَّنُ مِنْ تعَرُّفِه أَمْ لا ..

ثمَّ أَمَرَ ببناءِ قَصْرٍ على الْبَحْرِ ليَسْتَقْبِلَ فِيه بِلْقيسَ ، فعمِلَت الْجِنُّ فى بِناءِ قَصْرٍ مِنَ الزُّجَاجِ الثَّمينِ ، بِحَيْثُ يَقَعُ جُزْءٌ مِنَ الْبَحْرِ تَحْتَ أَرْضِيَّةِ الْقَصْرِ ، فيَظُنُّ السَّائِرُ فِيهِ أَنَّهُ يَسِيرُ فى الْماءِ ..

وعِنْدَمَا وَصَلَتْ بلْقيسُ أَدْخَلُوهَا إِلَى الْقَصْرِ ، فلَمَّا سارَتْ على أَرْضِه الزُّجَاجيَّةِ ظَنَّتْ أَنَّهَا تَغُوصُ فى الْماءِ ، وعِنْدَمَا رأَتْ عَرْشَهَا الَّذى تَرَكَتْهُ خَلْفَهَا فى مَمْلَكَةِ سَبأٍ ، سَأَلها سُلَيْمانُ قائِلًا :

﴿ أَهَكَذا عَرْشُكِ ﴾ .

فتأَمَّلَتْ بلْقيسُ الْعَرْشَ قليلًا ، وتَملَّكَهَا الشَّكُّ والْحَيْرَةُ .. إِنَّهُ يُشْبِهُ عَرْشَهَا ، لكِنْ كَيْف يكونُ عَرْشُها هُنا ، وقدْ تركَتْهُ خلفَها هُناك ؟!



فقالَتْ :

﴿ كأنهُ هُوَ ﴾ .

وانْبَهرَتْ بلْقيسُ بما رَأتْهُ مِنْ عَظَمةِ مُلْكِ سُلَيْمانِ وقُوَّتِهِ وقُوَّةِ إِيمانِهِ باللهِ ، فأَعْلَنَتْ إِسْلامَهَا هى وقَوْمُها للهِ رَبِّ الْعَالَمِين ..

الجياد الصافنات

أَثْنَى اللهُ (تعالَى) على نَبِيِّهِ سُلَيْمانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فقالَ :

﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ * إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ * فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ * رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴾ . [الآيات من ٣٠ : ٣٣ من سورة ص]

ذَكَرَ اللهُ (تعالَى) أنهُ وهَبَ لِدَاوُدَ ابْنَهُ سُلَيْمانَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ثُمَّ أَثْنَى اللهُ (تعالَى) على نَبيهِ سُلَيْمانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فقالَ :

﴿ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ . أَىْ دَائِمُ التَّوْبَةِ والرُّجُوعِ إلى اللهِ (تعالَى) بالصَّلاةِ والصِّيامِ ، والذِّكْرِ والتَّسْبِيحِ ، والاِسْتِغْفارِ والدُّعاءِ ، وفِعْلِ الْخَيْرَاتِ ..

ثُمَّ ذكرَ اللهُ (تعالى) ما كَانَ مِنْ أَمْرِ سُلَيْمانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ الْجِيادِ الصَّافِنَاتِ ، وهى الْخُيُولُ القَوِيَّةُ ، السَّرِيعَةُ الْجَرْىِ ..

وقِصَّةُ هذه الْجِيادِ الصَّافِنَاتِ ، أَنَّ نَبِيَّ اللهِ سُلَيمانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كانَ حَرِيصًا كُلَّ الْحِرْصِ على أَوْقاتِ الصَّلاةِ لا يَشْغَلُهُ عَنها شاغِلٌ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيا ..

وذاتَ يَوْمٍ كانَ سُليمانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَشْغُولًا بأَمْرٍ خَطِيرٍ ، وهوَ إِعْدادُ الْجَيْشِ لِلْحَرْبِ .. وكانَ مِنْ عادَةِ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يَسْتَعْرِضَ الْخَيلَ قَبلَ الْخُرُوجِ لِلْحَرْبِ ، لأَنَّ الْخَيْلَ كانَتْ سِلاحًا مُهِمًّا فى الْجَيْشِ فى ذلكَ الْوَقْتِ ..



وكانَ سُليمانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عالِمًا بأَمْرَاضِ الْخَيْلِ وطُرُقِ عِلاجِها ولِذلِكَ كانَ يُحبُّ أنْ يَطْمَئِنَّ علَى سَلامَتِها بِنَفْسِهِ ، ويَمْتَحِنَهَا ، حتَّى يكْتَشِفَ عُيُوبَها ، قبْلَ خُروجِها لِلْحَرْبِ ..

وكانَ ذلكَ أيْضًا يُعْتَبَرُ تشْرِيفًا لِلْخَيْلِ واعْتِرَافًا بِدَوْرِها الْخَطِيرِ فى الْحَرْبِ ..

فى ذلِكَ الْيَوْمِ ، انْشَغَلَ نبىُّ اللهِ سُليمانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بأَمْرِ الْخَيْلِ ، ونَسِىَ صَلاةَ الْعَصْرِ ، حتى غَرَبَتِ الشَّمْسُ ، وفَاتَهُ وقْتُ الصَّلاةِ فحَزِنَ حُزْنًا شديدًا على هذا التَّقْصيرِ ، واعْتَذَرَ لِرَبِّه ، بأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مَشْغُولاً بِأَمْرٍ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيا ، وإِنَّما كانَ يُعِدُّ لِلْغَزْوِ فى سَبيلِ اللهِ ، ومِنْ أَجْلِ نَشْرِ دِينِه فى الأَرْضِ ..

ويُقَالُ إِنَّ نَبِيَّ اللهِ سُليمانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قدِ اسْتَغْنَى عَنِ اسْتِخْدامِ الْخَيْلِ فى الْحَرْبِ ، فَعَوَّضَهُ اللهُ (تعالَى) عَنْهَا بِتَسْخيرِ الرِّيحِ لَه :

قالَ (تعالَى) :

﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴾ ..

لَمَّا تَرَكَ سُلَيْمانُ الْخَيْلَ ابْتِغاءَ وَجْهِ اللهِ (تعالَى) عوَّضَهُ اللهُ (تعالى) عَنْها بالرِّيحِ الَّتِى هِىَ أَسْرَعُ سَيْرًا وأَكْبَرُ قُوَّةً ، وأَعْظَمُ نَفْعًا .. كما أَنَّ الرِّيحَ لا تُكَلِّفُهُ شَيْئًا ..

وقدْ كانَتِ الرِّيحُ تجْرِى بأَمْرِهِ سَهْلَةً ، وحَيْثُ أرادَ أَنْ يُوَجِّهَها توَجَّهتْ ، وإِلَى أىِّ الْبِلادِ أَرادَ السَّفرَ حَمَلَتْهُ ..

ويُقَالُ إِنَّ سُلَيْمانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كانَ لهُ بِساطٌ صُنِعَ مِنَ الأَخْشَابِ الْقَوِيَّةِ ، وأَنَّ هذا الْبِساطَ كانَ مُتَّسِعًا لِحَمْلِ كُلِّ ما يَحْتاجُ إِلَيْه سُلَيْمانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الأَشْياءِ والنَّاسِ ، إِذا أَرادَ السَّفَرَ ، فى حُرُوبِهِ وَغزَوَاتِه ..

ويُقالُ إنَّ نبيَّ اللهِ سُليمانَ عليه السلام كانَ إذا أرادَ السَّفرَ على ظَهْرِ بِساطِهِ ، أَمَرَ بتحْميلِهِ بما يَشاءُ ، ثمَّ رَكِبَ فوْقَ ظَهْرِهِ ، وأَمَرَ الْجانَّ فتحملُهُ ، حتى ترْفعَهُ عالِيًا ، ثمَّ يأْمُرُ الرِّيحَ فتدْخُلُ تَحْتَهُ ، وتَسيرُ بِهِ وهِيَ الريحُ الرُّخاءُ ، فإنْ أرادَ أَسْرَعَ يأْمُرُ الرِّيحَ الْعاصِفَةَ ، فتَسيرُ به إلَى حَيْثُ أرادَ ..

وقَدْ كانَتِ الريحُ تَقْطَعُ فى ذَهابِها الْمَسافَةَ الَّتِى تقْطَعُها الْجِمالُ فى شَهْرٍ كامِلٍ ، وذلِكَ فى يَوْمٍ أَوْ أَقَلَّ مِنْ يَوْمٍ .. وكانَتْ تقْطَعُ نفْسَ الْمَسافَةِ فى عَوْدَتِها ..

قالَ (تعالَى) :

﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ﴾ ..

أَىْ تَقْطَعُ فى غُدُوِّها مسافَةَ شَهْرٍ ، وفى رَواحِها مسافَةَ شَهْرٍ ..

وقَدْ وهبَ اللهُ (تعالَى) لنبيِّهِ سُليمانَ عليه السلام مِنَ الْمُلْكِ والثَّراءِ واتِّساعِ الدَّوْلَةِ ، وكَثْرَةِ عَدَدِ الْجُنودِ وتَنَوُّعِها ما لَمْ يَهَبْهُ لأَحدٍ قَبْلَهُ ، ولا أَعْطاهُ لأَحدٍ بَعْدَهُ ..

قالَ (تعالَى) علَى لِسانِ سُلَيْمانَ عليه السلام :

﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ .

[الآية ٣٥ من سورة ص]

وقَدْ أَعْطاهُ تعالَى حُرِّيَّةَ التَّصرُّفِ الْكامِلِ فى الأَمْوالِ والنِّعَمِ ، التى أَنْعَمَ بها عَلَيْهِ ..

قال (تعالَى) :

﴿ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ .



أىْ أعْطِ مَنْ شِئْتَ واحْرِمْ مَنْ شِئْتَ ، فلا حِسابَ علَيْكَ .. وتصرَّفْ فى الأَمْوالِ كيْفَ شئْتَ فإن الله تعالَى قدْ أجازَ لكَ كُلَّ ما تفْعَلُهُ ، ولا يُحاسِبُكَ عليْهِ ..

وهذا شأنُ النَّبىِّ الْملكِ ، يتصرفُ فِيما أَعْطاهُ اللهُ وفيمَا ملَّكهُ عليْهِ كيْفَ يشاءُ ، وقدْ ولَّاهُ اللهُ فى ذلكَ لِعلْمِهِ بِعدْلِهِ وحِكْمَتِهِ ..

وقدْ خُيِّرَ نَبِيُّنَا مُحمدٌ ﷺ بيْنَ أنْ يكُونَ نبيًّا مَلِكًا ، أَوْ عَبْدًا رَسُولًا ، فاخْتارَ ﷺ أنْ يكُونَ عبْدًا تواضُعًا للهِ ..

ومِنْ عظَمَةِ مُلْكِ سُلَيْمانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أنَّ اللهَ (تعالَى) قدْ سخَّرَ لهُ عُمَّالًا وشَغَّالِينَ مِنَ الْجِنِّ ، يعْمَلونَ لهُ ما يَشاءُ ، ولا يَخْرُجُونَ عَنْ طَاعَتِهِ ، ومَنْ خرَجَ مِنْهُمْ عنْ طَاعَتِهِ ، أَوْ عَصَى لهُ أَمْرًا عذَّبَهُ وقيَّدَهُ فى السَّلاسِلِ ..

وقدْ كانَ الْجنُّ يَبْنُونَ لسُلَيْمانَ الْقُصورَ والدُّورَ ، ويُمَهِّدُونَ الطُّرُقَ ويَحْفرُونَ الآبارَ لاسْتخْراجِ الْمِياهِ وغَيْرِها مِنَ الأَعْمالِ الشَّاقَّة ، كما كانُوا يَعْملونَ فى الصِّناعَاتِ الْحَرْبِيَّةِ ويَصْنَعُونَ لهُ ما يَشاءُ مِنَ الْمَحارِيبِ ، وهى أَماكِنُ الْعِبادَةِ ، والتَّماثِيلِ ، وقَدْ كانَتِ التَّماثيلُ فى شَرِيعَتِهِمْ غيْرَ مُحرَّمَةٍ ، لأَنَّها كانتْ تُصْنَعُ لِتَزْيينِ الْقُصُورِ والْمَيادِينِ ، ولمْ تكُنْ مِنْ أجْلِ الْعِبادَةِ ..

كما كانَ الْجِنُّ يَصْنَعونَ لهُ الْجِفانَ ، وهى أَحْواضُ الْمِياهِ الضَّخْمَةُ ..

كما كانَ الْجنُّ يصْنَعونَ لهُ الْقُدورَ الرَّاسِيَاتِ ، وهى الْقُدُورُ الضَّخمَةُ الثَّابِتَةُ فى أَمَاكِنِها ، والتى تُشْبِهُ الْحُجُراتِ ، والتى يُطْهَى فيها الطَّعَامُ الْكَثيرُ ، مِنْ أَجْلِ إِطْعَامِ الإِنْسِ والْجنِّ ، والإِحْسانِ إِلَى الْفُقَراءِ مِنْهُمْ مِمَّا يُدلُّ على كَرَمِ نبىِّ اللهِ سُليمانَ وفِعْلِه الْخَيْراتِ ..

قالَ تعالَى :

﴿ اعْملُوا آل دَاوُدَ شُكْرًا وَقَليلٌ مِنْ عِبادِىَ الشَّكُورُ ﴾ ..





وكانَ الْجِنُّ يَغُوصُونَ فى الْماءِ لاسْتِخْراجِ الْجَواهِرِ واللَّآلِئِ الثَّمِينَةِ ، وغَيْرِها مما لا يَقْدِر الْبَشَرُ على اسْتِخْرَاجِهِ مِنْ أعْماقِ المِياهِ فى ذلكَ الزَّمانِ الْبَعيد ..

وقدْ كانَ ذلكَ كُلُّهُ مِنْ عَظِيمِ فَضْلِ اللهِ على نَبيِّه سُليمانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو مِنْ تَمامِ الْمُلْكِ ، الذى وهَبَهُ لَهُ ، والذى لَمْ يَهَبْهُ لأَحَدٍ بَعْدَهُ ، ولا قَبْلَهُ ..

وقدْ رَوَى أئِمَّةُ الْحديثِ عنِ النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّهُ قامَ فَصَلَّى ، فَسَمِعَهُ الصَّحابَةُ يَقُولُ : أَعُوذُ باللهِ مِنْكَ ، أَلْعَنُكَ بِلَعْنَةِ الله ، وكرَّرَ ذلكَ ثلاثَ مَرَّاتٍ .. ثمَّ بَسَطَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ ، كأَنَّه يتناوَلُ شيئًا ، فلمَّا فرَغَ مِنْ صَلاتِه ، سأَلَهُ الصَّحابَةُ قائِلينَ : يا رَسُول الله ، سَمِعْناكَ تَقُولُ فى الصَّلاةِ شيْئًا لَم نَسْمَعْكَ تقولُهُ قبْلَ ذلكَ ، ورَأَيْناكَ بَسَطْتَ يدكَ ، فقالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إنَّ عدُوَّ اللهِ إِبْليس جاءَ بشهاب مِنْ نَارٍ ، لِيَجْعَلَهُ فى وَجْهى ، فقُلْتُ : أَعُوذ باللهِ منْكَ ثلاثَ مراتٍ .. ثمَّ قُلْتُ :

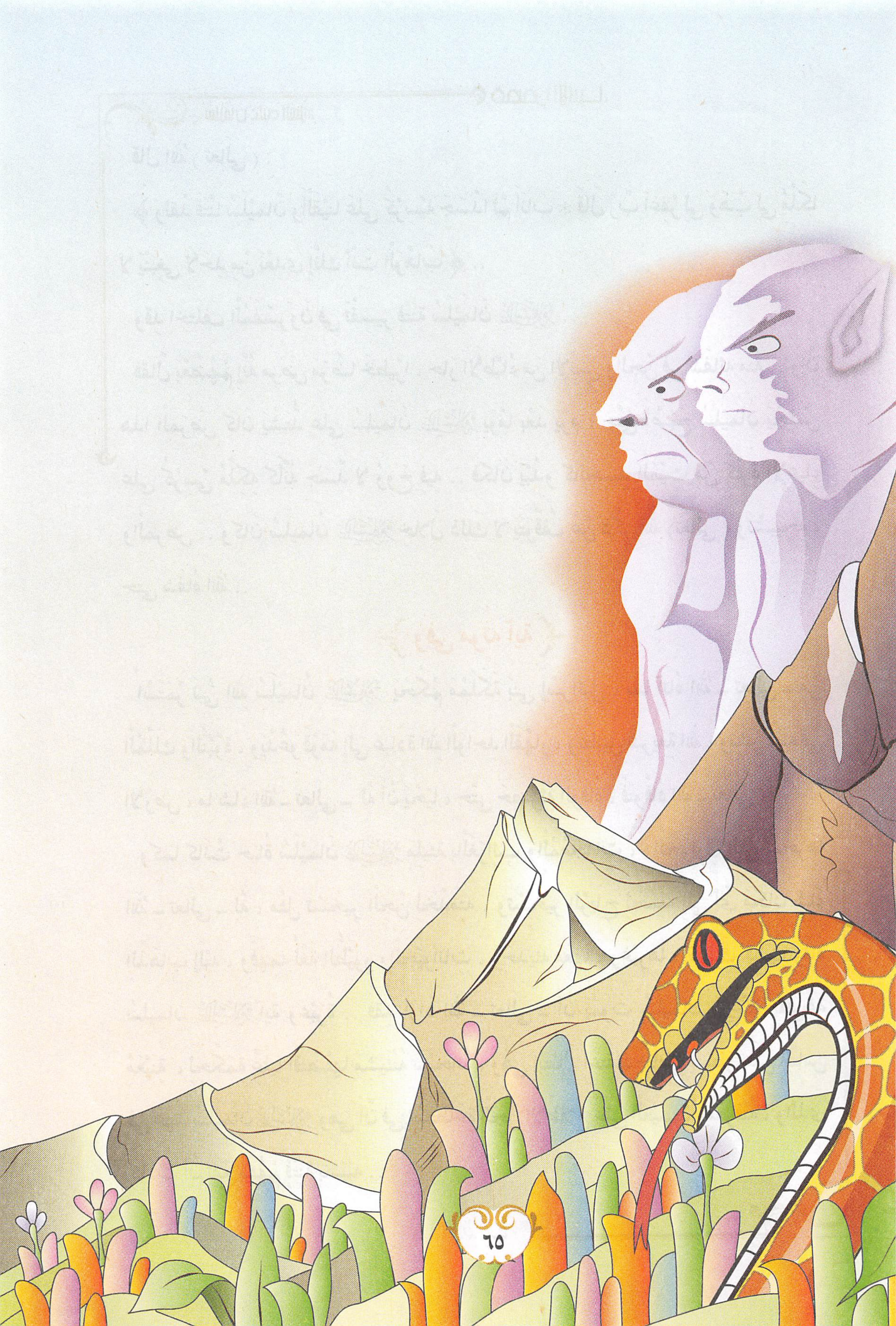
أَلْعَنُكَ بِلَعْنَةِ اللهِ التَّامَّةِ فلمْ يَسْتَأْخِرْ ثلاث مَرَّات ..

ثمَّ أَرَدْتُ أَخْذَهُ ، واللهِ لَوْلا دَعْوَةُ أَخِى سُليمانَ لأَصْبَحَ مُوثَقًا ، يلْعَبُ بِهِ وِلْدَانُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ..

وقدْ رَوَى أَبُو سعيدٍ الْخُدْرِىُّ أَنَّ رسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قامَ فَصَلَّى صَلاةَ الصُّبْحِ ، وهو خَلْفَهُ ، فقرَأَ ، فالْتَبَسَتْ علَيْهِ الْقِراءةُ ، فلمَّا فرَغَ مِنْ صَلاتِه قالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لوْ رأَيْتُمونى وإبْلِيس فَأَهْوَيْتُ بِيَدِى ، فَمَا زِلْتُ أَخْنُقُهُ ، حتَّى وجَدْتُ بَرْدَ لُعابِه بَيْنَ أَصْبُعَىَّ هاتَيْنِ (وأَشار إِلَى الإِبْهامِ والسَّبَّابَةِ) ولَوْلا دَعْوَةُ أخى سُليمانَ لأَصْبَحَ مَرْبُوطًا بِسارِيَةٍ مِنْ سَوارِى الْمَسْجِد ، يتلاعَبُ به صِبْيانُ الْمَدينَةِ ..

وهذا مِنْ نِعَمِ اللهِ (تعالَى) على نَبِيِّه سُليمانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ..

ومعَ كُلِّ هذه النِّعَمِ الْكَثيرةِ التى أَنْعَمَ اللهُ (تعالَى) بها علَى نَبيِّه سُليمانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فقدْ فَتَنَ اللهُ (تعالَى) سُليمانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ .. والْفِتْنَةُ هى الاخْتِبارُ والامْتِحانُ ..



قالَ اللهُ (تعالَى) :

﴿ ولقدْ فَتنَّا سُليمانَ وألْقيْنا علَى كُرسِيِّه جَسدًا ثمَّ أنابَ * قالَ ربِّ اغفِرْ لِي وهَبْ لِي مُلْكًا لا ينْبغِي لأحدٍ مِنْ بَعْدِي إنَّكَ أنتَ الْوَهَّابُ ﴾ ..

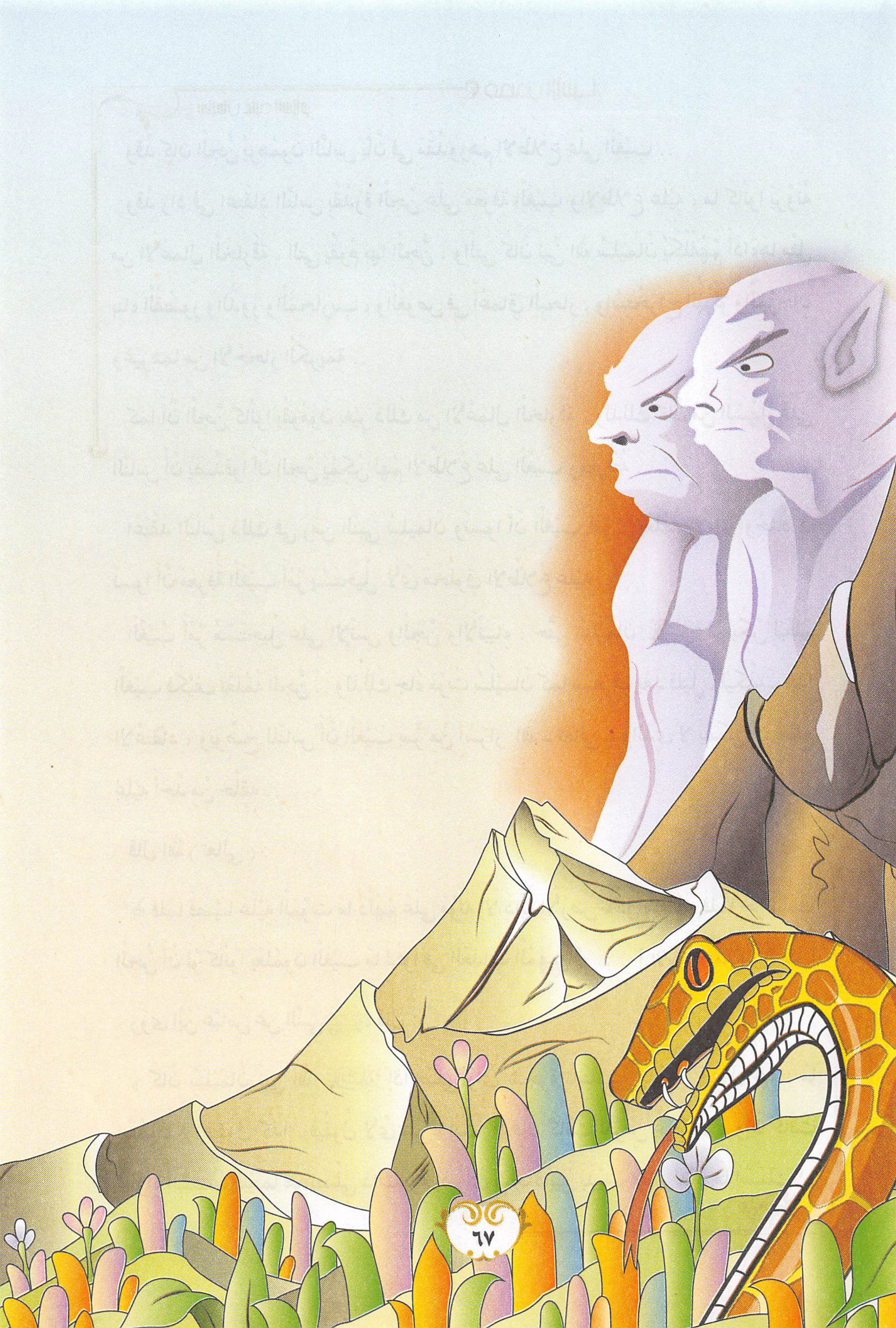
وقدِ اختلفَ الْمُفسِّرونَ فِي تفْسيرِ فِتْنةِ سُلَيْمانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ..

فقالَ بَعْضُهُمْ إنَّهُ مرِضَ مَرَضًا خطيرًا ، حارَ الأَطبَّاءُ مِنَ الإنْسِ والجنِّ فِي شِفَائِهِ مِنْهُ .. وإنَّ هذا الْمرَضَ كانَ يَشْتَدُّ على سُليمانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يومًا بعْدَ يوْمٍ ، حتَّى أَصْبحَ سُليمانُ يَجْلسُ على كُرْسِيِّ مُلْكِهِ كأنَّهُ جسَدٌ لا رُوحَ فِيهِ .. فكانَ يَبْدُو كالْجسَدِ الْميِّتِ مِنْ كثْرةِ الإعياءِ والْمرَضِ .. وكانَ سُليمانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ خلالَ ذلكَ لا يتوقَّفُ عَنْ ذِكْرِ اللهِ (تعالَى) وتَسْبيحِهِ ، حتى شَفَاهُ اللهُ ..

وفى موته آية

اسْتمرَّ نبيُّ اللهِ سُلَيْمانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَحْكُمُ مَمْلَكَةَ بَنِي إسْرائيلَ ، بما آتاهُ اللهُ - تعالَى - مِنَ الْمُلْكِ والنُّبوَّةِ ، ويدْعُو قوْمَهُ إِلَى عبادةِ اللهِ الْواحدِ الْقهَّارِ ، وتَطْبيقِ شَريعةِ اللهِ ، ونشْرِ دِينِهِ فى الأرْضِ ، ما شاءَ اللهُ - تعالَى - لهُ أنْ يَحيا ، حتَّى حضرَتْهُ الْوفاةُ ، فتوفَّاهُ اللهُ - تعالَى ..

وكما كانَتْ حياةُ سُليْمانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَليئةً بالْغرائبِ والْمُعْجزاتِ ، والْخوارِقِ التى سَخَّرهَا اللهُ - تعالَى - لهُ ، مثْل تسْخيرِ الْجنِّ لِخدْمتِهِ ، وتسْخيرِ الرِّياحِ لِحمْلِهِ إلى أيِّ مَكانٍ شاءَ الذَّهابَ إِلَيْهِ ، وفَهْمِهِ لُغَةَ الطُّيُورِ والْحيواناتِ ، وحَديثِهِ معَها ، وغيْرِها ، كذلكَ كانتْ وفاةُ سُليمانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ آيةً وعبْرةً .. فقدْ أرادَ اللهُ - تعالَى - أنْ يَموتَ سُليمانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بطريقةٍ مُعيَّنةٍ ، لِحكْمةٍ عُليا اقْتضَتْها مَشيئَتُهُ سُبْحانَهُ ، وهِى إبْطالُ اعْتقادٍ خاطِئٍ سَيْطَرَ على النَّاسِ فى عَهْدِ سُليمانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وهِى أنَّ فى اسْتطاعَةِ الْجنِّ الاطِّلاعَ على الْغيْبِ ، ومعْرفَتَهُ ، والذى كادَتْ أنْ تقعَ بيْنهُمْ فتْنةٌ بِسببِهِ ..



وقَدْ كانَ الْجِنُّ يُوهِمُونَ النَّاسَ بأنَّ فى مَقْدُورِهِمُ الاطِّلاعَ على الْغَيْبِ ..

وقَدْ زادَ فى اعتِقادِ النَّاسِ بِقُدْرَةِ الْجِنِّ على مَعْرِفةِ الْغَيْبِ والاطِّلاعِ علَيْهِ ، ما كَانُوا يَرَوْنَهُ مِنَ الأَعْمالِ الْخارِقَةِ ، التى يَقُومُ بها الْجِنُّ ، والَّتى كانَ نبىُّ اللهِ سُليمانُ يُكَلِّفُهُمْ أداءَها مثل بناءِ الْقُصُورِ والدُّورِ والْمَحارِيبِ ، والْغَوْصِ فى أَعْماقِ الْبِحارِ ، واسْتِخْراجِ اللُّؤْلُؤِ والْمَرْجانِ وغيْرِهما مِنَ الأَحْجارِ الْكَريمةِ ..

كما أَنَّ الْجِنَّ كانُوا يقومُونَ بغيْرِ ذَلِكَ مِنَ الأَعْمالِ الْخارِقَة ، ولِذلك كانَ مِنَ السَّهْلِ على النَّاسِ أنْ يصدِّقوا أَنَّ الجِنَّ يُمْكِنُ لهمُ الاطِّلاعُ على الْغَيْبِ وَمَعْرِفَتُهُ ..

اعْتَقَدَ النَّاسُ ذلك فى زَمَنِ النَّبِى سُلَيمانَ ونَسوا أَنَّ الْغَيْبَ أَمْرٌ لا يَعْلَمُهُ إِلاَّ اللهُ وحْدَهُ .. نَسوا أنَّ مَعْرِفَةَ الْغَيْب أمْرٌ يَسْتَحِيلُ لأىِّ مَخْلُوقٍ الاطِّلاعُ عليْه ..

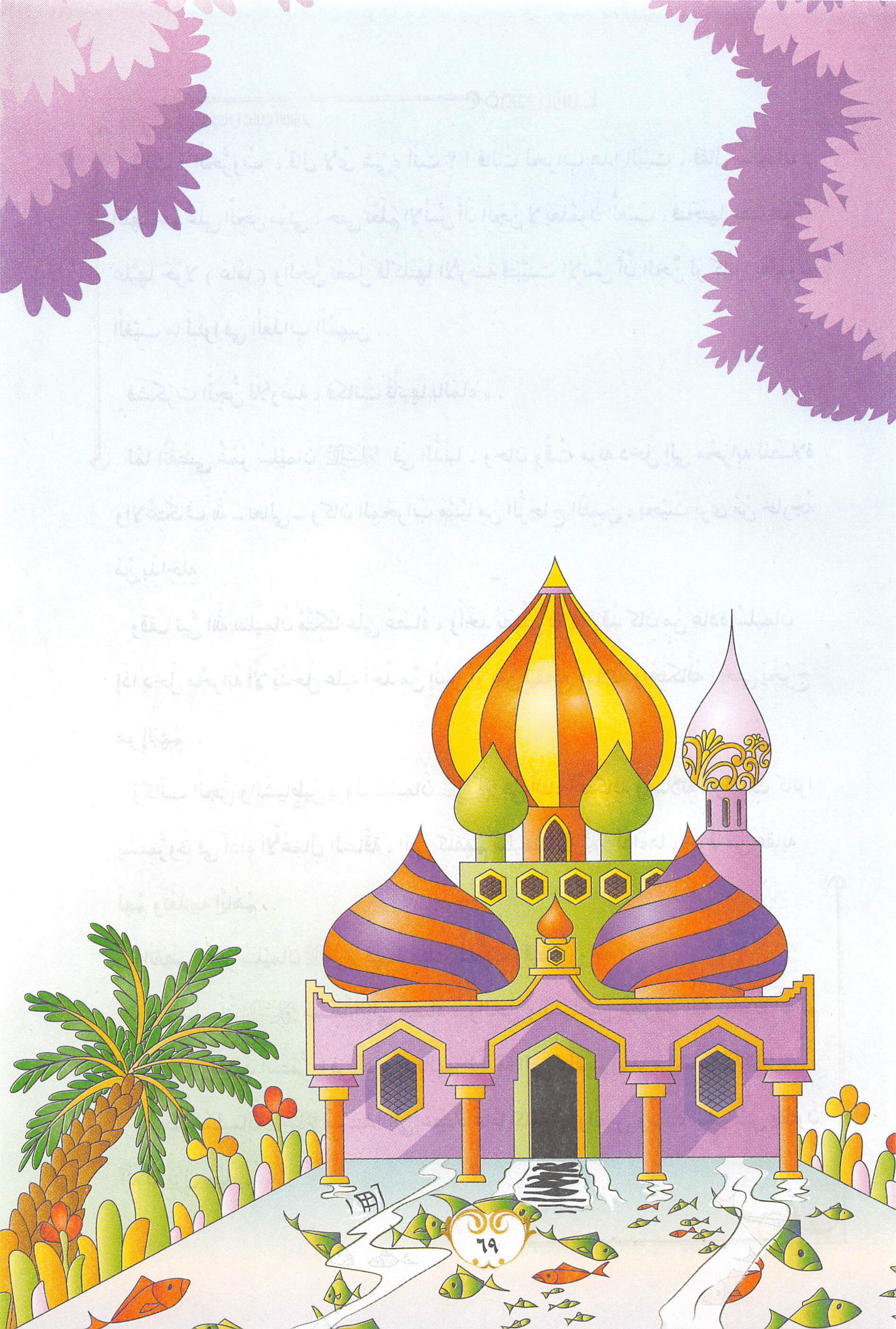
الْغَيْبُ أَمْرٌ مُسْتَحِيلٌ علَى الإِنْسِ والْجِنِّ والأَنْبياءِ ، حتَّى سُلَيْمان عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يكُنْ لِيَعْلَمَ الْغَيْبَ فكَيْفَ تَعلَمُهُ الْجِنُّ .. ولِذلكَ جاءَ مَوْتُ سُلَيْمانَ كَما سَنعْرِفُ بعْدَ قليلٍ ، لِيُكَذِّبَ هذا الاعْتِقادَ ، ويوَضِّحَ للنَّاسِ أَنَّ الْغَيْبَ سرٌّ مِنْ أَسْرَارِ اللهِ ـ تعالَى ـ والَّذى لا يُمْكِنُ أَنْ يَطَّلِعَ عليْه أَحَدٌ مِنْ خَلْقِه ..

قالَ اللهُ (تعالَى) :

﴿ فلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ ما دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلاَّ دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْب ما لَبِثُوا فى الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾ .. [الآية ١٤ من سورة سبأ]

رَوَى ابْنُ عبَّاسٍ عنِ النَّبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال :

« كانَ سُلَيْمانُ نَبِى اللهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إذا صَلَّى رَأَى شَجرَةً نابِتَةً بيْنَ يدَيْه ، فيَقولُ لها : ما اسْمُكِ ؟ فتقولُ كذا ، فيَقولُ لأَىِّ شَىْءٍ أَنْتِ ؟! فإنْ كانَتْ لِغَرْسٍ غُرِسَتْ ، وإنْ كانَتْ لِدَواءٍ أُنْبِتَتْ ، فبَيْنَما هو يصَلِّى ذات يَوْمٍ إِذ رَأى شجرَةً بيْنَ يدَيْه ، فقالَ لها : ما اسْمُك ؟ !



قالت : الْخرُّوبُ ، قالَ لأىِّ شَىْءٍ أَنْتِ ؟ ! قالَتْ لِخَرابِ هذا الْبَيْتِ ، فقالَ سُلَيْمانُ : اللّهُمَّ عَمِّ عَلى الْجِنِّ مَوْتِى ، حتى تعْلَمَ الإِنْسُ أَنَّ الْجِنَّ لا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ ، فَنَحَتها عصًا فتوَكَّأَ علَيْها حَوْلا (عَامًا) والْجِنُّ تعْمَلُ فأكَلَتْهَا الأَرْضَةُ فَتبَيَّنَتِ الإِنْسُ أَنَّ الْجِنَّ لوْ كَانُوا يعْلَمُونَ الْغَيْبَ ما لَبِثُوا فى الْعَذابِ الْمُهِينِ ..

فشَكَرَتِ الْجِنُّ لِلْأَرْضَةِ ، فكانَتْ تَأْتيها بالْمَاءِ » .

لمَّا انْقَضَى عُمْرُ سُلَيْمانَ عليه السلام فى الدُّنْيَا ، وحانَ وقْتُ مَوْتِه دخلَ إِلَى مِحْرَابِه للصَّلاةِ والاعْتِكَافِ للهِ ـ تعالَى ـ وكانَ الْمِحْرابُ مَبْنِيًّا مِنَ الزُّجاجِ الثَّمِينِ ، بحَيْثُ يرَى مَنْ خارِجَهُ مَنْ بِداخِلِه ..

وقف نبىُّ اللهِ سليمانُ مُتَّكِئًا على عَصَاهُ ، وأَخذَ يُصلِّى للهِ .. وقدْ كانَ مِنْ عادَةِ سُليمانَ إِذا دخلَ مِحْرَابَهُ ألَّا يَدْخُلَ عليْهِ أَحَدٌ مِنْ إنْسٍ أَوْ جِنٍّ لِيَقْطَعَ صلاتَهُ واعْتِكافَهُ ، حتى يَخْرُجَ هو إِلَيْهِمْ ..

وكانَتِ الْجِنُّ والشَّياطِينُ يرَوْنَ سُليمانَ عليه السلام فى أَثْناءِ اعْتِكافِه وصَلاتِهِ ، ولِذلِكَ كانوا يَسْتَمِرُّونَ فى أَدَاءِ الأَعْمالِ الشَّاقَّة ، التى كَلَّفَهُمْ سُليمانُ عليه السلام أَداءَهَا ، خوفًا مِنْ عِقابِهِ لَهُمْ وتَعْذيبه إِيَّاهُمْ ..

وانقَضى عُمْرُ سُلَيْمانَ عليه السلام فهبَطَ مَلَكُ الْمَوْتِ وقَبضَ روحَهُ ..

وظَلَّ سُليمانُ عليه السلام مُسْتنِدًا إِلَى عَصَاهُ ، والْجِنُّ والشَّياطِينُ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ يَظُنُّونَ أَنَّهُ لمْ يزَلْ حَيًّا ، ولِذلكَ اسْتَمَرُّوا فى أداءِ أَعمالِهِمُ الشَّاقَّةِ التى كلَّفَهُمْ إِيَّاهَا سُليمانُ عليه السلام .

واسْتَمَرَّ سُليمانُ عليه السلام مُسْتنِدًا إِلَى عَصَاهُ عَامًا كامِلًا ، والْجِنُّ وَمَرَدَةُ الشَّياطِينِ يظنون أَنَّهُ لَمْ يزَلْ حيًّا ..



وأَرادَ اللهُ ـ تعالَى ـ كشْفَ ادِّعاءِ الْجِنِّ بِمعْرِفَةِ الْغَيْبِ ، واعْتِقادِ الإنْسِ في ذلكَ ..

أَرْسَلَ اللهُ ـ تعالَى ـ دابَّةَ الأَرضِ ، وهي نَوْعٌ مِنَ النَّمْلِ ، يُقالُ لَهُ « الأَرَضَة » عَلَى عَصا سُلَيْمانَ الَّتي يَتَّكِئُ علَيْها ، فأخذَتْ تأْكُلُها ..

وبمُرُورِ الأَيَّامِ أَكَلَتْ دابَّةُ الأَرْضِ جُزْءًا مِنَ الْعَصَا حتى أضْعَفَتْها ..

وتَحْتَ ثِقَلِ جَسَدِ سُلَيْمانَ عليه السلام كُسِرَتِ الْعَصَا ..

وسَقَطَ جَسَدُ سُلَيمانَ عليه السلام على أَرْضِ الْمِحْرابِ ، مُحْدِثًا صَوْتًا ..

وأَسْرَعَ النَّاسُ يَسْتَطْلِعُونَ ما حَدَثَ داخلَ الْمِحْرابِ فوَجَدُوا سُليمانَ عليه السلام قَدْ مَاتَ مُنْذُ فَتْرَةٍ ..

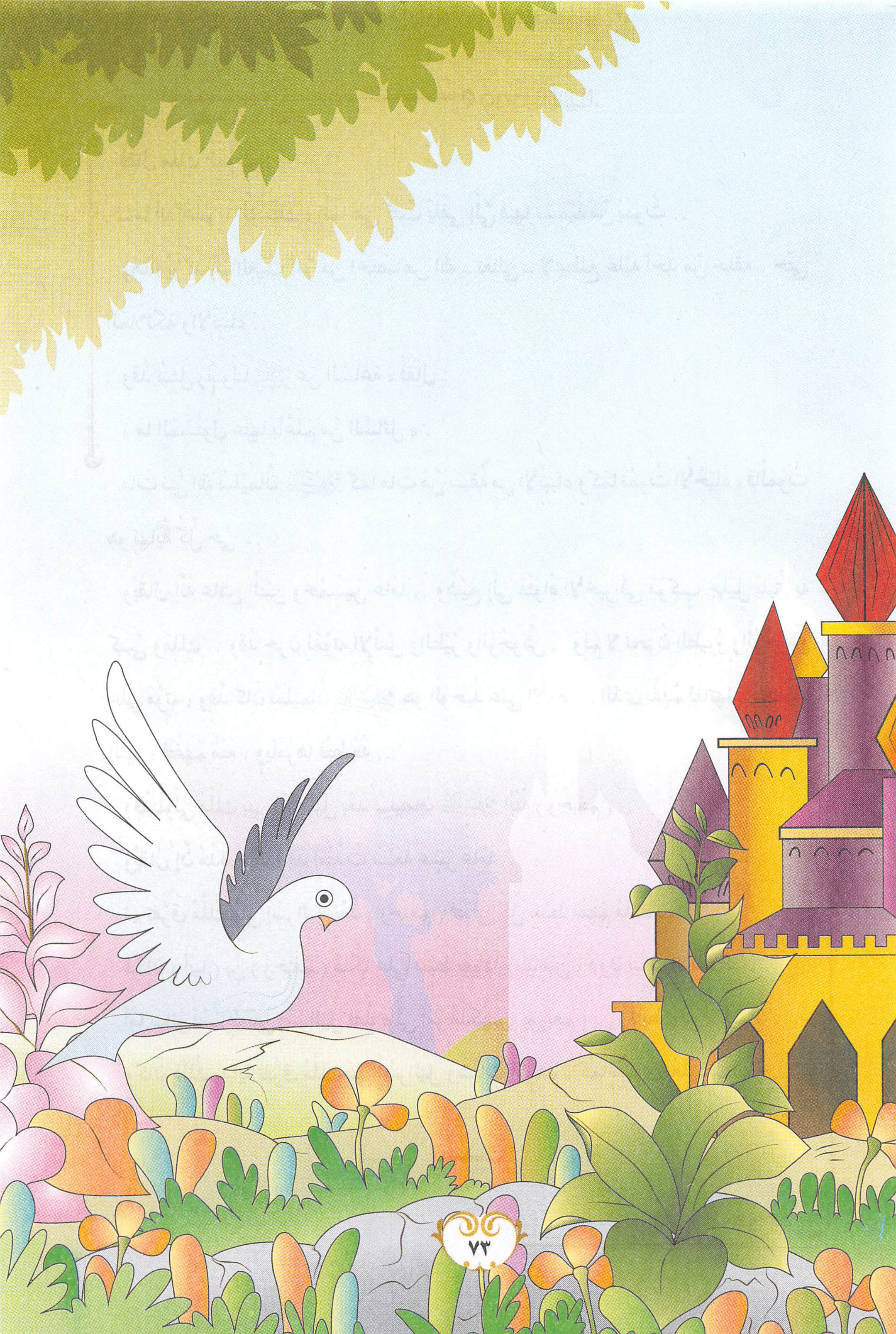
ويُقَالُ إِنَّهُمْ قَدْ حَسَبُوا الْجُزْءَ الذي تأْكُلُه دَابَّةُ الأَرْضِ في الْيَوْمِ الْوَاحِدِ ، فَعَرفوا أَنَّ سُلَيْمانَ عليه السلام قَدْ مكَثَ مَيِّتًا عامًا كاملًا قَبْلَ أَنْ يَكْتَشِفُوا مَوْتَهُ ..

وأَيْقَنَ النَّاسُ أَنَّ الْجِنَّ كَانُوا يَكْذِبُونَ علَيْهِمْ ، حينَمَا كانُوا يُوهِمُونَهُمْ بِقُدْرَتِهِمْ على مَعْرِفَةِ الْغَيْبِ ، ولَوْ كانُوا صادِقِينَ في ادِّعائِهِم لَعَلِموا بِمَوْتِ سُلَيْمانَ عليه السلام في حِينِهِ ، ولما ظَلُّوا طولَ هذا الْوَقْتِ مُقَيَّدِينَ في الأَغْلالِ ، وهمْ يُؤَدُّونَ الأَعْمالَ الشَّاقَّةَ ، التي كَلَّفَهُمْ سُلَيمانُ عليه السلام أَدَاءَهَا ، وهمْ يظُنُّونَ أَنَّهُ يُراقِبُهُمْ .. ويُقالُ إِنَّ الْجِنَّ قدْ قالُوا للأَرَضَةِ ، بعْدَ أَنْ عَلِموا أَنَّها كانَتِ السَّبَبَ في كَشْفِ مَوْتِ سُليمانَ عليه السلام :

لَوْكُنْتِ تَأْكُلِينَ الطَّعامَ لأَتَيْناكِ بأَطْيَبِ الطَّعامِ ، ولَوْ كُنْتِ تشرَبينَ الشَّرابَ ، سَقَيْناكِ أَطْيَبَ الشَّرابِ ، ولَكِنَّنا سَنَنْقُلُ إِلَيْكِ الْمَاءَ والطِّينَ ..

وممَّا يُرْوَى في مَوْتِ سُلَيْمانَ ، أَنَّ سُليمانَ عليه السلام قالَ لِمَلَكِ الْمَوْتِ :

ـ إذا أَرَدْتَ أَنْ تَقْبِضَ رُوحِي ، فأَعْلِمْنِي ..



فقالَ مَلَكُ الْمَوْتِ :

ـ ما أنا أَعْلَمُ بِذاكَ مِنْكَ ، إِنَّما هى كُتُبٌ يُلْقَى إِلَيَّ فيها تَسْمِيَةُ مَنْ يَمُوتُ ..

وهذا يُؤَكِّدُ أَنَّ الْغَيْبَ أمرٌ مِنَ اخْتِصاصِ اللهِ ـ تعالَى ـ لا يطَّلِع علَيْهِ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ ، حتَّى الْمَلائِكَة والأَنْبِياء ..

وقدْ سُئِلَ رسُولُنا ﷺ عنِ السَّاعةِ ، فقالَ :

« مَا المَسْئولُ عنها بأَعْلَمَ مِنَ السَّائل » .

ماتَ نبيُّ اللهِ سُلَيْمانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَما مَاتَ مَنْ سَبَقَهُ مِنَ الأنْبياءِ وكَمَا تَمُوتُ الأَحْياءُ ، فالْمَوْتُ هو نِهايَةُ كُلِّ حَيٍّ ..

ويُقالُ إِنَّهُ عاشَ اثْنَيْنِ وخَمْسِينَ عامًا .. وشُيِّعَ إِلَى مَثْوَاهُ الأخيرِ فى مَوْكِبٍ جليلٍ يَليقُ بِهِ كَنبيٍّ ومَلِكٍ .. وقدْ حَزِنَ لِمَوْته الإنْسُ والطَّيْرُ والْوُحوشُ .. ولِمَ لا تحزَنُ الطُّيورُ والْوُحُوشُ علَى مَوْتِهِ ، وقدْ كانَ سُليمانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ هو الْوَحيدُ على الأَرْضِ ، الَّذى يفْهَمُ لُغَاتِها ويَتَحدَّثُ إِلَيْها ، فتَفْهمُ مِنْهُ ، ويأمُرُها فتُطِيعُهُ ..

وقدْ تولَّى مُلْكَ بَنِى إِسْرائيلَ بعْدَ سُليمانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ابْنُهُ (رحبعم) ..

ويُقالُ إِنَّ مُدَّةَ حُكْمِهِ قد امْتَدَّتْ سَبْعَةَ عَشَرَ عَامًا ..

ثم تفرَّقَ مُلْكُ بَنِى إِسْرائيلَ بعْدَ (رحبعم) فتولَّى كُلَّ سِبْطٍ مِنْهُمْ مَلِكٌ ..

فكانَ (أَبْيا) بْنُ (رحبعم) مَلِكًا على سِبْطِ يَهُوذا وبِنْيَامِينَ ، دُونَ سَائِرِ الأَسْباطِ ..

أمَّا سَائِرُ أَسْباطِ بَنِى إِسْرائيلَ فقَدْ تولَّى أَمْرَ مُلْكِهِمْ (يوربعم) بنُ (نابط) بنِ سُليمانَ ..

وكانَ ذلِكَ بِدايَةَ تفرُّقِ مُلْكِ بَنِى إِسْرائيلَ وشَتَاتِ أَمْرِهِمْ ، كما سَنَرى بَعْدَ ذلكَ ..

تَمَّــتْ



قصص الأنبياء

شعيا عليه السلام

شعيا عليه السلام

بعْد وفاةِ نبيِّ اللهِ سُليْمانَ بنِ داوُدَ عليهما السلام أصْبح يتولَّى أمْرَ بَنى إسْرائيل مَلِكٌ ، يصرِّفُ شُئُونَهُمُ الدُّنْيَوِيَّةَ ، ويتولَّى أمْرَ تنظيمِ الْجَيْشِ ، والدِّفاعِ عَنْ مَمْلَكتِهِمْ ضِدَّ أعْدائِهِمْ ..

ويُرْسِلُ اللهُ لهمْ أنْبياءَ ؛ ليُوَضِّحوا لَهُمْ أُمورَ دينِهِمْ ، فيَأْمُرُوهُمْ باتِّباعِ أوامِرِ التَّوْراةِ ، والابْتعادِ عَمَّا فِيها مِنْ نَواهٍ .. ويُذَكِّرهُمْ بأحْكامِ التَّوْراةِ ، وَمَا تركُوهُ مِنَ الطَّاعَةِ ، وغَيْرِها مِنْ أُمُورِ الدينِ ..

وكانَ اللهُ إذا مَلَّكَ عَليْهِمْ مَلِكًا ، بَعَثَ إليْهِمْ نَبيًّا ؛ لِيُرْشِدَهُ ، ويَنْصَحَهُ فى أُمُورِ الدِّينِ ، فيَكُونَ هذا النَّبِيُّ رَسُولًا بَيْنَهُ وبَيْنَ اللهِ ..

وقدْ جاءَ على بَنِى إسْرائيل يوْمٌ تولَّى أَمْرَهُمْ فِيه مَلِكٌ يُدْعَى حِزْقيا ..

فلمَّا تولَّى حزْقِيَا مُلْكَ بَنِى إِسْرائيلَ ، بعَثَ اللهُ (تعالَى) لهمْ نَبيًّا هوَ شَعْيَا بْنُ أَمْصا ..

وكانَ ذلكَ الْمَلِكُ سَامِعًا مُطِيعًا للنَّبى شعْيَا فيما يَأْمُرُهُ بِهِ مِنْ أَمْرِ اللهِ (تعالَى) ، وما يَنْهاهُ عنْهُ ، وكانَ حَرِيصًا على مَصالحِ بنى إِسْرائيلَ ..

وكانَ بَنُو إِسْرائيلَ ـ فى ذلِكَ الْوَقْتِ ـ قدْ كثُرَتْ فِيهِمُ الذُّنُوبُ ، وعَظُمَتِ الْمَعَاصِى ..

ومَرِضَ الْمَلِكُ حزْقِيا مَرَضًا شَدِيدًا ، وظَهَرَتْ فى رِجْلِهِ قُرْحَةٌ ، فَلزِمَ فِراشَهُ ، وقدْ شَعَرَ باقْتِرَابِ أجَلِهِ ..

وفى ذلكَ الْوَقْتِ قرَّرَ سنْحارِيبُ مَلِكُ مَمْلَكَةِ بابِلَ غزْوَ مَمْلَكَةِ الْيَهودِ فى بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، فحَشَدَ جَيْشًا مُكوَّنًا مِن سِتِّمائَةِ أَلْفِ مُقاتِلٍ ، وسارَ على رَأْسِهِمْ قَاصِدًا بَيْتَ الْمَقْدِسِ ..

فَلمَّا وصَلَ سنْحارِيبُ بِجَيْشِهِ إِلى مَمْلَكَةِ الْيَهُودِ ، ونزَلَ حوْلَ بيْتِ الْمَقْدِسِ ، ذهَبَ النَّبِىُّ شَعْيَا إِلَى الْمَلِكِ حزْقِيَا ، وهوَ مَرِيضٌ ، وقالَ لهُ :



ـ يا مَلِكَ بَنِى إِسْرائِيلَ ، إِنَّ سِنْحاريبَ مَلِكَ بَابلَ ، قَدْ نزَلَ بنَا هوَ وجُنودُهُ ، فى سِتِّمائة أَلْفِ رايةٍ ، وقَدْ هَابَهُمُ النَّاسُ وأُصِيبُوا بالذُّعْرِ مِنْهُمْ ..

فَحزِنَ الْمَلِكُ أَشَدَّ الْحُزْنِ ، وسأَلَ النبىَّ شعْيَا قائِلًا :

ـ يا نَبِىَّ اللهِ ، هلْ أَتَاكَ وحْىٌ مِنَ اللهِ فِيمَا حَدَثَ ، فَتُخْبِرنَا بهِ ، ماذَا سَيَفْعَلُ اللهُ بنا وبِعَدُوِّنا سِنْحَارِيبَ وجُنُودِه ؟ !

فقالَ له شعْيَا عَلَيْهِ السَّلَامُ :

ـ لَمْ يأْتِنِى وحْىٌ حَدَّثَ إِلَىَّ فى شَأْنِكَ ..

وبينمَا هُمَا على ذلك أَوْحَى اللهُ (تعالَى) إِلى نَبِيِّهِ أَنْ يذْهَبَ إِلى حزْقِيَا ، ويأْمُرَهُ أَنْ يُوصِى بِوَصِيَّتِهِ ، ويسْتَخْلِفَ على مُلْكِهِ مَنْ يشَاءُ مِنْ أَهْلِ بَيْته ..

فذهبَ النبىُّ شعْيَا إِلى الْمَلِكِ حِزْقِيَا ، وقالَ لهُ :

ـ إِنَّ ربَّكَ قدْ أَوْحَى إِلَىَّ أَنْ آمُرَكَ بِأَنْ تُوصِى وَصِيَّتَكَ وتَسْتَخْلِفَ مَنْ شِئْتَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ ، فإِنَّكَ مَيِّتٌ ..

فلمَّا أَخْبَرَهُ بذلكَ ، توَجَّهَ الْمَلِكُ إِلى الْقِبْلَةِ فصلَّى وسَبَّحَ للهِ ، ثمَّ دعَا وأَخذَ يتضَرَّعُ إِلى اللهِ باكيًا ، بِقلْبٍ مُخلصٍ ، وظَنٍّ صَادقٍ باللهِ ، قائلًا :

ـ اللَّهُمَّ رَبَّ الأَرْبَابِ ، وإِلَهَ الآلِهَةِ ، الْقُدُّوسَ الْمُتقَدِّسَ ، يا رَحْمَنُ يا رَحِيمُ ، يا مَنْ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ ولا نَوْمٌ اذْكُرْنِى بعَمَلِى وفِعْلِى ، وحُسْنِ قَضَائِى على بَنِى إِسْرائيلَ ، وذلِكَ كُلُّهُ مِنْكَ ، فأَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنْ نفْسِى ، وسِرِّى وعَلَانِيَتِى لكَ ..

ويُقَالُ إِنَّ اللهَ (تعالَى) قدِ اسْتَجَابَ لَهُ ؛ لأَنَّهُ كانَ مَلِكًا صَالِحًا ، فأَوْحَى اللهُ إِلى شعْيَا وأَمرَهُ

أَنْ يُخبِرَ الْمَلِكَ أَنَّ رَبَّهُ قد اسْتَجَابَ له ، وَقَبِلَ مِنْهُ ورَحِمَهُ ، وقَدْ رَأَى بُكَاءَهُ وقَدْ أَخَّرَ أَجَلَهُ خَمْسَةَ عَشَرَ عَامًا ، وأَنْجاهُ مِنْ عَدُوِّهِ سِنْحارِيبَ مَلِكِ بابِلَ وجُنُودِه ..

فلمَّا أَخْبَرهُ شعْيَا عَلَيْهِ السَّلَامُ بذلك ذَهَبَ عَنْهُ الْوَجَعُ ، وزالَ عنه الْخَوْفُ والْحُزْنُ ، فَخَرَّ سَاجِدًا للهِ (تعالَى) ، وقال :

ـ يا إِلَهِى وإِلَهَ آبائِى ، لكَ سَجَدْتُ وسَبَّحْتُ ، لكَ كَرَّمْتُ وعَظَّمْتُ .. أَنْتَ الَّذى تُعْطِى الْمُلْكَ مِنْ تَشَاءُ ،وتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ ، وَتُذِلُّ مَنْ تَشاءُ ، عالِمُ الْغَيْبِ والشَّهادَةِ ، أَنْتَ الأَوَّلُ والآخِرُ ، والظَّاهِرُ والْبَاطِنُ ، وأَنْتَ تَرْحَمُ وتَسْتَجِيبُ دَعْوَةَ الْمُضْطَرِّينَ ..

أَنْتَ الذى أَجَبْتَ دَعْوَتِى ، ورَحِمْتَ تضَرُّعِى ..

فلمَّا رفعَ الْمَلِكُ حِزْقِيَا رأْسَهُ مِنْ سُجودِهِ ، أَوْحَى اللهُ تعالَى إلى نَبِيِّه شعْيَا عَلَيْهِ السَّلَامُ ، أَنْ يقُولَ لِلْمَلِكِ أَنْ يأْمُرَ عَبْدًا مِنْ عَبِيدِهِ ، فيَأْتِيَهُ بماءِ التِّينِ ، فيَجْعَلَهُ على قُرْحَتِه ، فيُشْفَى مِنْ مَرَضِه ..

ففعلَ الْمَلِكُ حزْقِيَا ، ما أَمَرَهُ به النبىُّ شعْيَا عَلَيْهِ السَّلَامُ فَشُفِىَ مِنْ مَرَضِه ..

وقالَ الْمَلِكُ للنبىِّ شعْيَا عَلَيْهِ السَّلَامُ :

ـ سَلْ رَبَّكَ أَنْ يَجْعَلَ لنا عِلْمًا بما هو صانِعٌ بعَدُوِّنا هذا ..

فلمَّا سأَلَ شعْيَا عَلَيْهِ السَّلَامُ ربَّهُ ما طَلَبَهُ الْمَلِكُ حزْقِيَا ، أَوْحَى إِلَيْه سُبْحانَهُ أَنْ يقولَ لِلْمَلِكِ :

« إِنِّى قَدْ كَفَيْتُكَ عَدُوَّكَ ، وأَنْجَيْتُكَ مِنهُمْ ، وإِنَّهمْ سَيُصْبِحُونَ مَوْتَى كُلُّهُمْ إِلَّا سِنْحارِيبَ وخَمْسَةً مِنْ أَصْحابه .. »

فلمَّا أَصْبَحَ الصَّباحُ ، جاءَهُ مُنادٍ فنادَى على بَابِ الْمَدِينَةِ قائِلًا :

ـ يا مَلِكَ بَنى إِسْرائيلَ ، إِنَّ اللهَ قَدْ كَفاكَ عَدُوَّكَ فاخْرُجْ ، فإِنَّ سِنْحارِيبَ ومَنْ مَعَهُ قَدْ هَلَكُوا ..



فخرجَ الْمَلِكُ ، فرأى أنَّ جَيْشَ سِنْحاريبَ قدْ هَلَكَ عنْ آخرِه ، وأنَّ وعْدَ اللهِ (تعالَى) له قدْ تَحقَّق ..

وبحثَ الْمَلِكُ ومَنْ معَهُ بيْنَ الْجُثثِ عنْ سِنْحارِيبَ ، فلَمْ يعْثُروا له على أثَرٍ ، فعَرفوا أنَّهُ قدْ هَرَبَ ..

وأَرْسَلَ حِزْقِيَا مَنْ يَبْحثُ عَنْ سنحاريبَ ، فعثَرُوا علَيْه مُخْتبِئًا فى مَغارَةٍ مع خمْسَةٍ مِنْ أَصْحابِهِ ، كانَ أَحدُهُمْ يُدْعى بُخْتُنَصَّر (وهوَ الْقائِدُ الْبابِلِيُّ ، الذى سيَكُونُ على يَدَيْهِ خَرابُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، وتَدْميرُ مَمْلَكَةِ الْيَهُودِ ، فيمَا بَعْدُ ، كما سَنَعْرِفُ فى هذهِ السِّلْسِلَةِ) ..

قَبضَ أَتْباعُ الْمَلِكِ حزْقيَا على سِنْحَارِيبَ والْخَمْسَةِ الذينَ نَجَوْا مِنَ الْهلاكِ مَعَهُ ، وأَحْضروهُمْ إلَى الْمَلِكِ حزْقيَا ، مُكَبَّلينَ بالْقُيُودِ ، فلمَّا رآهُمْ حزْقيَا ، خرَّ للهِ (تعالَى) ساجدًا ، فلمَّا انْتَهى مِنْ سُجُودِهِ تحدَّثَ إلى سنْحارِيبَ قائلًا :

ـ كيْفَ رَأَيْتَ فِعْلَ ربِّنا بِكُمْ ؟ أَلَمْ يَقْتُلْكُم بِحوْلِهِ وقُوَّتِهِ ، ونَحْنُ وأَنْتُمْ غافِلُون ؟!

فقالَ له سِنْحاريبُ :

ـ قدْ أَتَانِى خَبَرُ رَبِّكُمْ ونَصْرُهُ إِيَّاكُمْ ، ورَحْمَتُهُ التى رَحِمَكُمْ بِها ، وذلكَ قَبْلَ أَنْ أَخْرُجَ مِنْ بِلادِى ، فلَمْ أَسْتَمِعْ لِنُصْحِ مَنْ نصحَنِى ، ولَمْ يُلْقِنِى فى الشِّقْوَةِ والْهَلاكِ إلاَّ قلَّةُ عَقْلِى ، فلَوْ أَنَّنى سمِعْتُ أَوْ عَقِلْتُ ، ما غزَوْتُكُمْ ، ولكنَّ الشِّقْوَةَ غلَبَتْ علَيَّ ، وعلَى مَنْ مَعِى ..

فقالَ الْمَلكُ حزْقيَا :

ـ الْحَمْدُ للهِ (رَبِّ الْعزَّةِ) ، الذى كَفانا إِيَّاكُمْ بما شاءَ ، إنَّ ربَّنا لَمْ يُبْقِكَ ومَنْ مَعَكَ لِكرامةٍ لَكَ علَيْه ، ولكِنَّهُ إنَّمَا أبقاكَ ومَنْ معَكَ لما هُوَ شَرٌّ لكَ ولِمَنْ معَكَ ، لِتَزْدادُوا شِقْوَةً فى الدُّنْيا وعذَابًا فى الآخِرَةِ ، ولِتُخْبِروا مَنْ وراءَكُمْ بما رَأَيْتُمْ مِنْ فِعْلِ ربِّنا ، ولِتُنْذِروا مَنْ بَعْدَكُمْ ، ولَوْلا ذلكَ مَا أَبْقَاكُمْ .. إنَّ دمَكَ ودَمَ مَنْ معَكَ أَهْوَنُ علَى اللهِ مِنْ قُرادٍ لَوْ قتَلْتَه ..



(يقْصِدُ أَنَّ قتْلَهُ وقتْلَ مَنْ مَعه كانَ أَسْهَلَ مِنْ قَتْلِ الإِنْسَانِ حَشَرَةً صغِيرَةً) ..

وبعْدَ أَنِ انْتهى الْمَلِكُ حزْقِيَا مِنْ كَلامِهِ أَمَرَ رَئِيسَ حَرَسِهِ ، فَوَضَعَ فى رَقَبَةِ سِنْحاريبَ وَمَنْ مَعَهُ الْقُيُودَ ، وأَخَذَ يَطُوفُ بهِمْ حوْلَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، وفى مَمْلَكَةِ بَنِى إِسْرائيلَ سَبْعين يَوْمًا لِيُعَذِّبَهُمْ ويُذِيقَهُمُ الْهَوَانَ والذُّلَّ ، وكانَ يطْعِمُهُمْ كُلَّ يوْمٍ رغيفَيْنِ مِنْ شَعيرٍ ..

فقالَ سِنْحاريبُ لحزْقيَا :

ـ الْقَتْلُ أَفْضَلُ لنَا ممَّا تَفْعَلُهُ بِنَا ..

فأَمر حِزْقِيَا بِإِيدَاعِهِمْ فى السِّجْنِ ، وأَوْحَى اللهُ (تعالَى) إِلى النَّبِىِّ شِعْيَا أَنْ يأْمُرَ الْمَلِكَ حِزْقِيا ، أَنْ يُرْسِلَ سِنْحاريبَ ومَنْ مَعَهُ إِلى بلادِهِمْ فى مَمْلَكَةِ بَابلَ ؛ لِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ بما قدْ حَلَّ بهِمْ ، وأَمَرَهُ أَنْ يكرمَهُمْ ويَحْمِلَهُمْ إِلى حُدُودِ بلادَهِمْ ..

فلَمَّا بلَّغَ النَّبىُّ شعْيَا أَمْرَ رَبِّهِ إِلى الْمَلِكِ حزْقِيَا ، أَطْلَقَ سَرَاحَ سِنْحاريبَ ومَنْ مَعَهُ ، فَوَصَلوا بِلادَهُمْ ..

وفى بَابِلَ جَمَعَ سِنْحاريبُ النَّاسَ وأَخْبَرَهُمْ بما فعَلَهُ اللهُ بِهِ وبِجُنُودِهِ ، فقالَ لهُ سَحَرَةُ وكَهَنَةُ بَابِلَ :

ـ يا مَلِكَ بَابِلَ ، قدْ كُنَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ خبَرَ رَبِّهِمْ وخبَرَ أَنْبِيائِهِمْ ، وَوَحْىَ اللهِ إِلى أَنْبِيائِهِمْ ، فلمْ تُطِعْنا .. ثُمَّ تُوُفِّى حزْقيا مَلِكُ بَنِى إِسْرائيلَ ، فكَثُرَ الْفَسَادُ بَيْنهُمْ ، وكَثُرَتْ مَعَاصِيهِمْ ، فَأَوْحَى اللهُ (تعالَى) إِلى نبيِّهِ شعْيَا فقَامَ فِيهِمْ خطِيبًا ، فوَعَظَهُمْ ، وذَكَّرَهُمْ وحَدَّثَهُمْ عَنِ اللهِ ، وأَنْذَرَهُمْ بأْسَهُ وعِقَابَهُ إِنْ هُمْ خالَفُوهُ وكذَّبُوهُ ، واسْتَمَرُّوا فى مَعاصِيهِمْ وضَلالِهِمْ ، فلما فرَغَ منْ وَعظِهِمْ اعْتَدَوْا عَلَيْه ، وحَاوَلوا قَتْلَهُ ، فهَرَبَ مِنْهُمْ ..

ويُقَالُ : إِنَّهُ مَرَّ بشَجرَةٍ ، فنادَتْهُ ، وانْفَتَحتْ فَدخَلَ فيهَا ، ثمَّ أُغْلقَتِ الشَّجَرَةُ علَيْه ، فرَآهُ إِبْليسُ فجذَبَ طَرَفَ رِدَائِهِ ، فرَأَوْهُ ونشَرُوا الشَّجرَةَ ، وبدَاخِلها شعْيَا ، فتَوفَّاهُ اللهُ (تعالَى) .. وكانَ ذلكَ إِيذانًا بخرَابِ مَمْلَكَةِ بَنِى إِسْرائيلَ ..

تَمَّــتْ

قصص الأنبياء

أرميا عليه السلام



أرميا عليه السلام

نَجَّى اللَّهُ ـ تعالَى ـ بَنِى إِسْرَائيلَ مِنْ عُدوِّهم سنْحاريبَ مَلِك بَابلَ ، وأَهْلَكَ جُنودَهُ ، وبِرَغْم ذَلك فقدْ عَصَى بَنُو إِسْرَائيلَ ربَّهُمْ و قَتلُوا الأَنْبياءَ ، وارْتكَبُوا الْمَعَاصِىَ ، فأَرْسَلَ لهمْ نَبِيًّا جديدًا هو النبِيُّ أَرْميا عَلَيْهِ السَّلَامُ وأَوْحَى اللَّهُ ـ تعالَى ـ إِلَيْه أَنَّهُ سَوْف يُهْلِكُ بَنِى إِسْرَائيلَ ويَنْتَقِمُ منْهُمْ بذُنُوبِهِم و مَعَاصيهِمْ ..

وأَمَرهُ سُبْحانَهُ أَنْ يَقِفَ على صَخْرَة بيْتِ الْمَقْدسِ ليتَلَقَّى أَمْرَ اللَّهِ ووَحْيَهُ فى بَنِى إِسْرَائيلَ .. فقامَ أَرْميا على الصَّخْرَةِ ، وخرَّ للَّهِ سَاجِداً ، ثمَّ قالَ :

ـ يا رَبِّ ، ودَدْتُ أَنَّ أُمِّى لَمْ تَلدْنِى ، حينَ جعَلْتَنِى آخر أَنْبياء بَنِى إِسْرَائيلَ ، فيَكُونُ خَرَابُ بيْتِ الْمَقْدِسِ وهَلاكُ بَنِى إِسْرَائيلَ مِنْ أَجْلِى ..

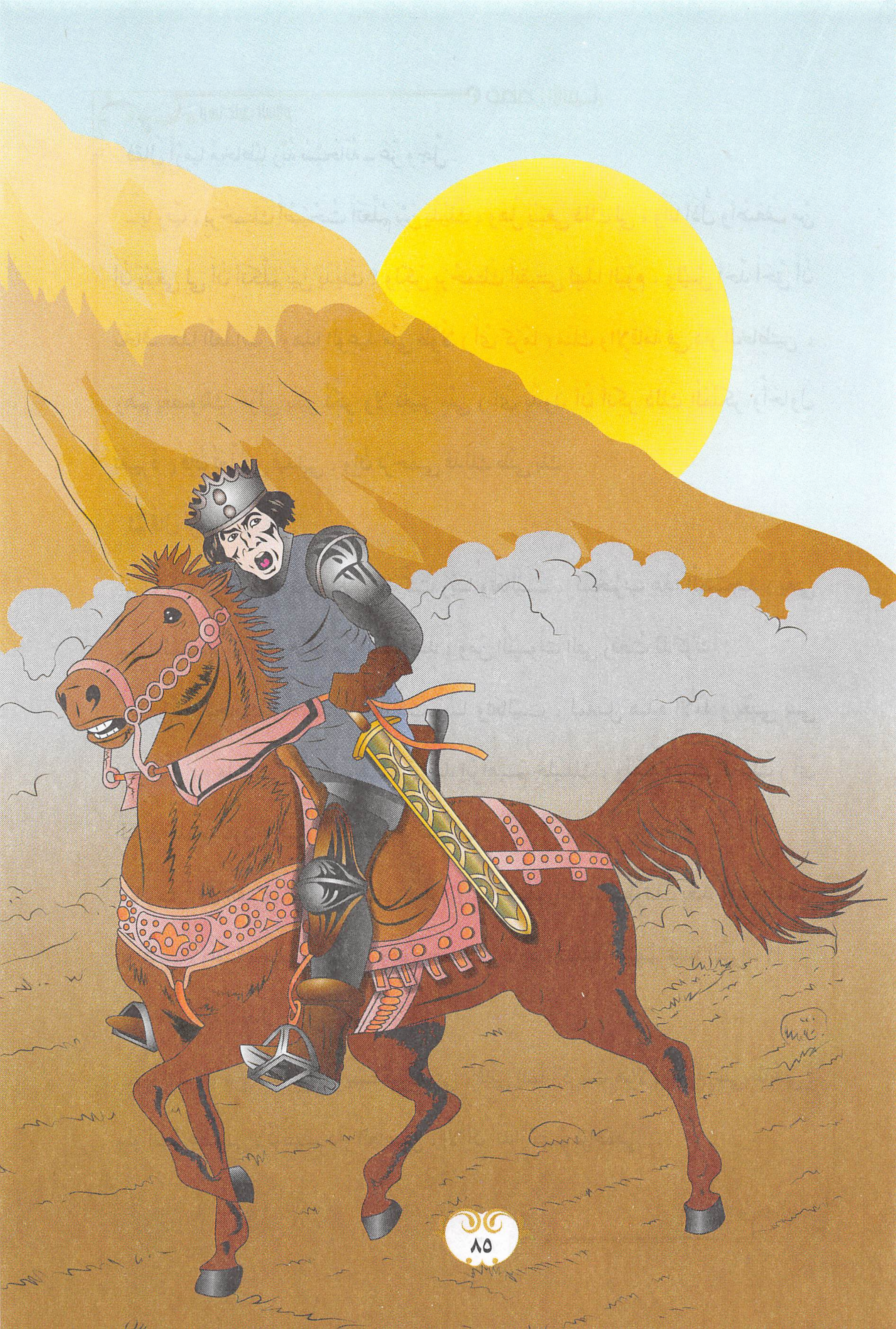
فأَمَرهُ اللَّهُ ـ تعالَى ـ أَنْ يرْفَعَ رأْسَهُ ، فَرفعَ أَرْميا عَلَيْهِ السَّلَامُ رأْسَهُ وبكَى ، ثم قالَ :

ـ يا ربِّ ، مَنْ تُسَلِّطُ عَلَيْهِمْ ؟!

فأَوْحَى اللَّهُ ـ تعالَى ـ إِلَيْه أَنَّه سَوف يُسَلِّطُ عَلَيْهِم عَبَدَةَ النيرانِ ، الَّذينَ لا يَخافُون عِقابَهُ ، ولا يَرْجُونَ ثَوابَهُ ..

وأَوْحَى اللَّهُ ـ تعالَى ـ إِلى أَرْمِيا عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يقُوم معَ مَلِك بَنى إِسْرَائيلَ ينْصَحُهُ ويُرْشِدُهُ ، بِوَحْيٍ منَ اللَّه ـ تعَالَى ـ ففعَلَ أَرْميا ذلِكَ ، ولكنَّ بَنى إِسْرَائيلَ لمْ يتَّعِظُوا ، ولمْ ينْتَهُوا عَنْ إِتْيانِ الْمَعَاصِى ..

وأَوْحَى اللهُ ـ تعالَى ـ إِلى أَرْميا عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يَجمعَ بَنى إِسْرائيلَ ، وأَنْ يَخْطُبَ فِيهِمْ مُذَكِّرًا إِيَّاهُمْ بِنِعَمِ اللهِ ـ تعالَى عليْهِمْ ، وأَنْ يُحذِّرَهُمْ مِنَ انتقامِ اللهِ مِنْهُمْ ، وتَسْليطِهِ عَدُوَّهُمْ علَيْهِمْ ، إِذا لَمْ يَرْجِعُوا عَنِ الْمعَاصِى ، ويَتُوبُوا إِلَيْه ..



فقال أَرْميا مُخاطِبًا ربَّهُ سُبْحانَهُ ـ عزَّ وجلَّ :

ـ يا رَبِّ ، بِرَحْمَتِكَ أَصْبَحْتُ أَتَعَلَّمُ بَيْنَ يَدَيْكَ ، وهَلْ يَنْبَغِى ذلِكَ لِى ، وأَنا أَذَلُّ وأَضْعَفُ مِنْ أَنْ يَنْبَغِى لِى أَنْ أَتَكَلَّمَ بَيْنَ يَدَيْكَ ؟ ولكِنْ بِرَحْمَتِكَ أَبقيتنى لهذا الْيَوْمِ ، ولَيْسَ أَحَدٌ أَحَقَّ أَنْ يَخافَ هذا الْعَذابَ ، وهذا الْوَعِيدَ مِنِّى طَوْلًا (أَىْ كَرَمًا) مِنْكَ والإِقامَةَ فى دَارِ الْخاطِئِينَ ، وهُمْ يَعْصُونَكَ حَوْلى بغَيْرِ نُكْرٍ ولا تَغْيير مِنِّى (أَىْ بِدُونِ أَنْ أُنكِر ذلك الْمُنْكَرَ وأُحاوِلَ تَغْييرَهُ) فإِنْ تُعَذِّبْنِى فَبِذَنْبِى ، وإِنْ تَرْحَمْنِى فذلِكَ ظَنِّى بكَ ..

ثُمَّ قال أَرْميا عليه السلام :

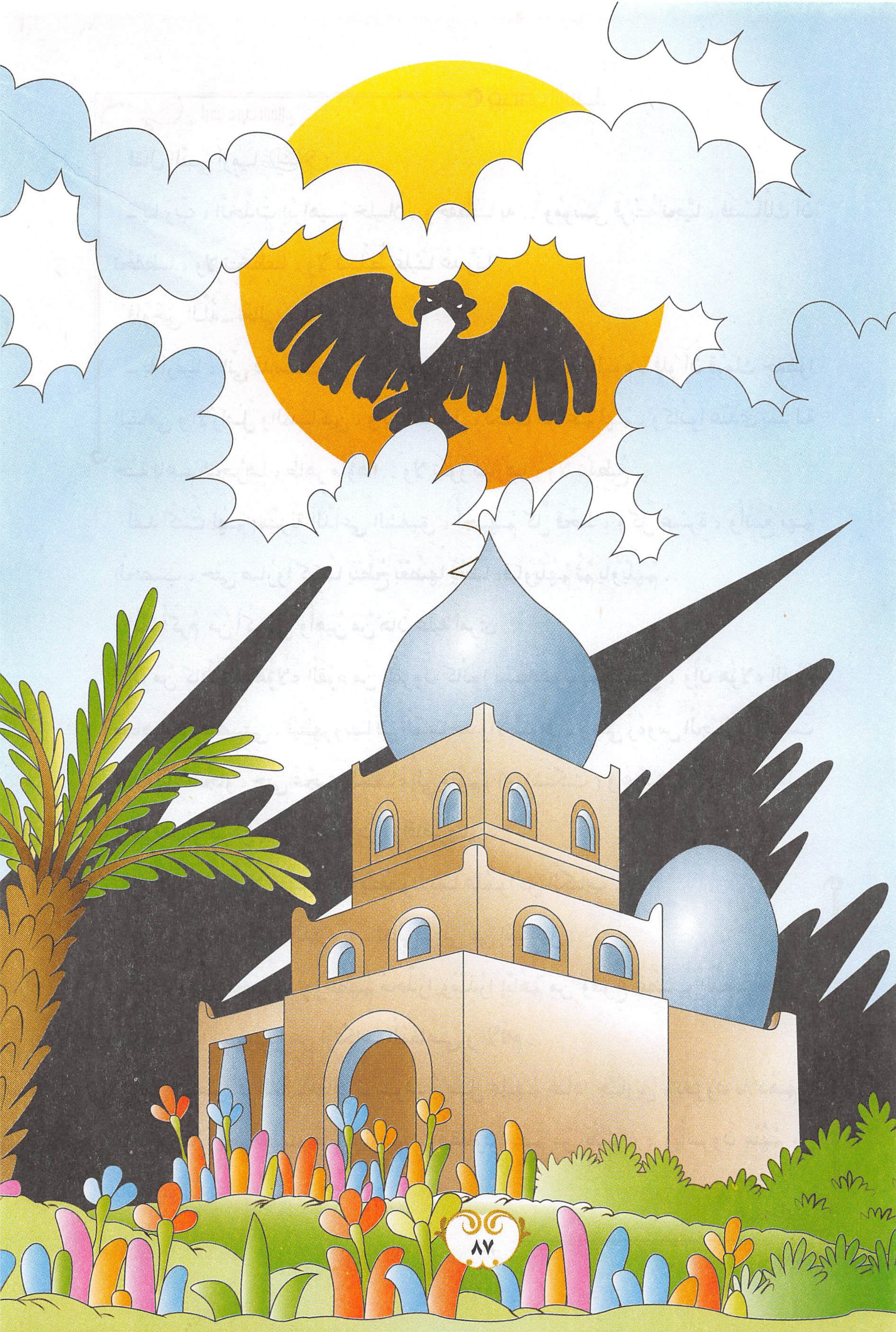
ـ يا رَبِّ سُبْحانَكَ وبِحَمْدِكَ وتَبارَكْتَ رَبَّنا وتَعالَيْتَ ، لِمُخَرِّبِ هذا الْمَسْجِدِ (يَعْنى بيْتَ الْمَقْدِسِ) وما حَوْلَهُ مِنَ الْمَساجِدِ ، ومِنَ الْبُيُوتِ التى رُفِعَتْ لِذِكْرِكَ ..

يا رَبِّ سُبْحانَكَ وبِحَمْدِكَ وتَبارَكْتَ رَبَّنا وتَعالَيْتَ ، لِمَقْتَلِ هذه الأُمَّةِ (يَعْنى بَنى إِسْرائيلَ) وعَذابِكَ إِيَّاهُمْ ، وهُمْ مِنْ وَلَدِ إِبْراهيمَ خَلِيلِكَ ، وأُمَّةِ مُوسَى نَجِيِّكَ (أَىْ الذى كلَّمْتَهُ دونَ وَحْىٍ) وقَوْمِ داوُدَ صَفِيِّكَ ..

يا رب ، أى الْقُرَى تَأْمَنُ عُقُوبَتَكَ بعْدُ ، وَأَىُّ الْعِبادِ يأْمَنُونَ سَطْوَتَكَ بَعْدَ وَلَدِ خليلِكَ إِبْراهيمَ ، وأُمَّةِ نَجِيكَ مُوسَى ، وقومِ خَلِيفَتِكَ داوُدَ ، تُسَلِّطُ عَلَيْهِمْ عَبَدَةَ النِّيرانِ ؟!

فأَوْحى اللَّهُ ـ تعالَى ـ إلى أَرْميا عليه السلام :

ـ يا أَرْمِيا ، مَنْ عَصانى فلا يَسْتَنْكِر نِقْمَتى ، فإِنِّى إنما أَكْرَمْتُ هؤُلاءِ الْقَوْمَ على طاعَتى ، ولَوْ أَنَّهُمْ عَصَوْنى لأَنْزَلْتُهُمْ دارَ العاصين ، إِلاَّ أَنْ أَتدارَكَهُمْ بِرَحْمَتى ..



فقالَ النَّبىُّ أَرْميا عَلَيْهِ السَّلَامُ :

ـ يا رَبِّ ، اتَّخذْتَ إبْراهيمَ خَليلاً ، وحَفظْتَنَا بِهِ .. ومُوسَى قَرَّبْتَهُ نَجيًّا ، فنَسْأَلُكَ أَنْ تَحْفَظَنَا ، ولا تَتخطَّفْنَا ، ولا تُسَلِّطْ علَيْنَا عَدُوَّنَا ..

فأَوْحَى اللَّهُ ـ تعَالَى ـ إلَيْه:

ـ يا أَرْمِيَا ، إنِّى قَدَّسْتُكَ فى بَطْنِ أُمِّكَ ، وأَخَّرْتُكَ إلى هذَا اليَوْمِ ، فلوْ أَنَّ قَوْمَكَ حفظُوا اليَتامَى و الأَرَامِلَ والْمساكِينَ ، وابْنَ السَّبيلِ ، لكُنتُ الدَّاعِمَ لهُمْ ، وكانُوا عِنْدى بِمَنْزِلَةِ جَنَّةٍ ناعمٍ شَجَرُهَا ، طاهرٍ ماؤُها .. ولا تبُورُ ثِمَارُها ، ولا تنْقَطِعُ ..

لَقَدْ كُنْتُ لهُمْ بِمَنْزلَةِ الدَّاعِى الشَّفيقِ ، أُجَنبُهُمْ كُلَّ قَحْطٍ ، وكُلَّ عُسْرَةٍ ، وأُتْبِعُ بهِمُ الْخصْبَ ، حتى صَارُوا كِبَاشًا يَنْطَحُ بَعْضُها بَعْضًا ،فيَاوَيْلَهُمْ ثُمَّ ياوَيْلَهُمْ ..

إنَّما أُكْرِمُ مَنْ أَكْرمَنى وأُهينُ مَنْ هَانَ عليْه أَمرِى ..

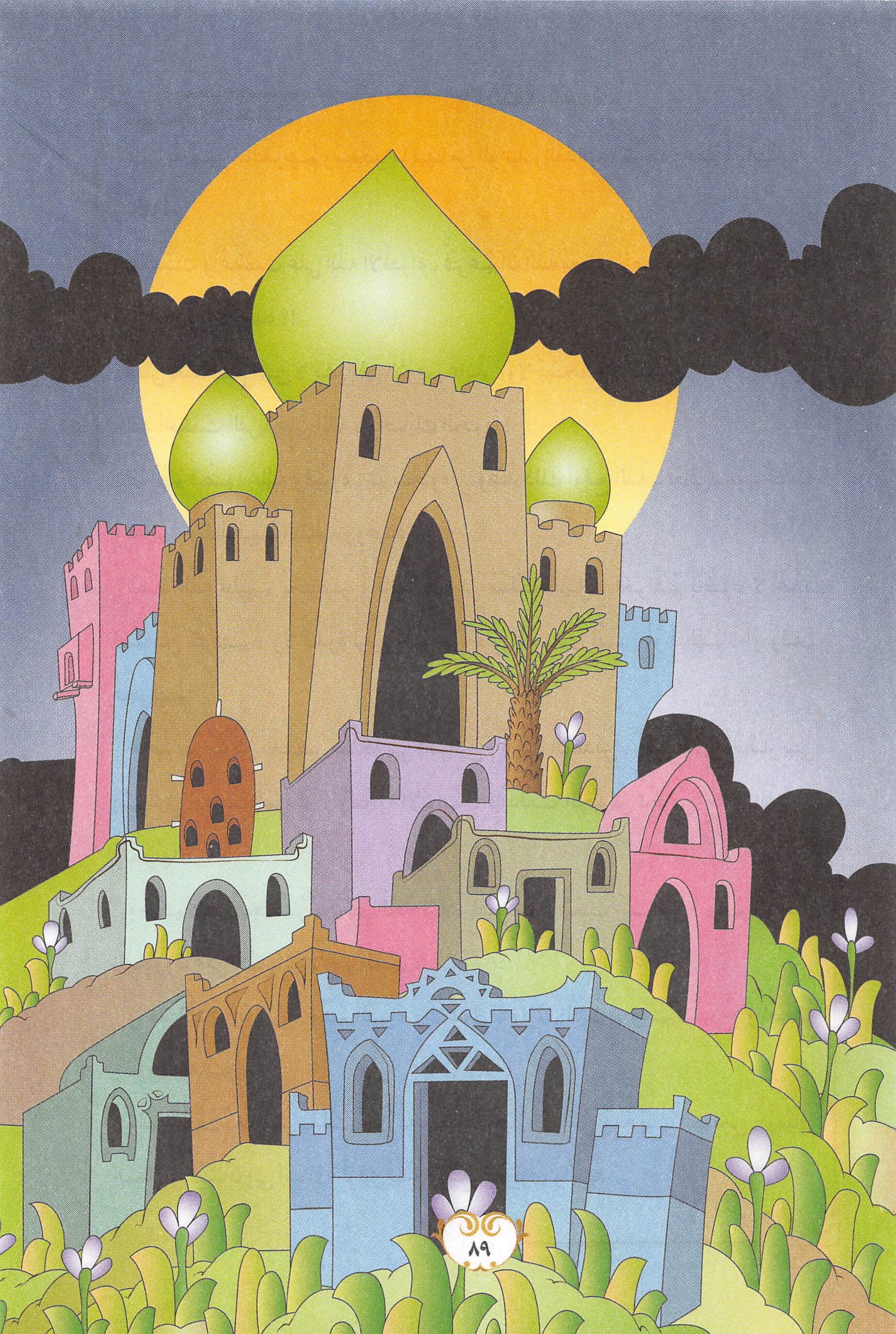
إنَّ مَنْ كانَ قَبْلَ هؤُلاءِ الْقَوْمِ مِنَ الْقُرونِ كَانُوا يَسْتَخِفُّونَ بمَعْصِيتى ، وإِنَّ هؤُلاءِ الْقَوْمَ يُجَاهِرونَ بمَعْصِيتى ، فيُظْهِرونَها فى الْمَسَاجِدِ والأَسْواقِ ، وعلى رُءُوسِ الْجِبَالِ ، وتَحْتَ ظِلالِ الأَشجارِ ، حتى عَجَّتِ السَّمَاءُ إلَيَّ منْهُمْ (أَى اشتكَتْ) و عَجَّتِ الأَرْضُ والْجِبالُ ، و نَفرتِ الْوُحُوشُ بأَطْرافِ الأَرْضِ وأَقَاصِيها ..

وفى كُلِّ ذلكَ لا ينتهونَ ولا يَنْتفِعُونَ بما عِلمُوا مِنَ الْكتابِ ..

وحَملَ أَرْميا عَلَيْهِ السَّلَامُ إنْذارَ رَبِّه ـ تعالى ـ إلى بَنى إسْرائيلَ ..

ذَهبَ إلَيهِمْ فَجمعَهُمْ ووَعَظَهُمْ مُحذِّرًا ومُنْذِرًا إيَّاهُمْ مِنْ وُقُوعِ غضَبِ اللَّهِ ـ تعالَى ـ علَيْهِمْ ، إذا لَمْ ينتهُوا عنِ ارْتِكَابِ الْمَعَاصِى و الآثَامِ ..

حَذَّرهُمْ مِنْ أَنَّ اللَّهِ ـ تعالَى ـ سوفَ يُرْسِلُ عَليهِمْ عِبادًا جَبَّارِينَ ، يَغْزونَ بلادَهُمْ ، فيُخَرِبُونها ويُخرجونَهُمْ مِنْ دِيارِهِمْ .. فيَقْتُلونَ منهُمْ مَنْ يَقْتُلونَ ، ويَأْسِرونَ منْهُمْ مِنْ يَأْسِرون ..



فلمَّا بَلَّغهُمْ رِسالَةَ رَبهِمْ وسَمِعُوا ما فِيها مِنَ الْوَعِيدِ والْعَذابِ ، كذَّبُوهُ وعَصَوْهُ واتَّهَمُوهُ ، وقالوا له :

ـ كذَبْتَ وأَعْظَمْتَ على اللَّه الافْتِرَاءَ ، فَتَزْعُمُ أنَّ اللَّهَ مُعَطِّلٌ أرْضَهُ ومَساجِدهُ مِنْ كتابه ومِنْ عبادَتِه وتَوْحيدِه ؟!

فمَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ حينَ لا يَبْقَى فى الأَرْضِ عابِدٌ ، ولا مَسْجدٌ ولا كتابٌ !

لقدْ أَعْظَمْتَ الْفِرْيَةَ على اللَّهِ ، وأَصابَكَ الْجُنونُ !

ثمَّ إِنَّهُمْ قَبَضُوا علَيْهِ وقَيَّدُوهُ ، ثمَّ سَجَنُوهُ .. وعنْدَ ذلكَ أوقعَ اللَّهُ ـ تعَالَى ـ بِهِم غَضَبَهُ وعِقابَهُ ، ونَفَّذَ فيهِمُ انتقامَهُ وَوَعِيدَهُ ..

سَلَّطَ اللَّهُ عليْهِمْ بُختَنصَّرَ ، قائِد جُيُوشِ مَمْلَكَةِ بابِلَ ، فغزاهُمْ بجُنُودٍ لا عَدَدَ لهُمْ مِنْ كَثْرَتِهِمْ ، ولا قُدْرَةَ لِبَنِى إِسْرائيلَ على التَّصدى لهُمْ ، أَوْ قِتالِهِمْ ، أَوْ وَقْفِ هُجُومِهِمْ ..

حاصَرَت جُيُوشُ بُخْتنصر مَمْلَكَةَ بَنِى إِسْرائيلَ ، وبَيْتَ الْمَقْدِسِ ، حتى طالَ الحِصَارُ ببنى إِسْرائيلَ ، فاسْتَسْلَمُوا لهُ ، وفَتحُوا الأَبْوابَ ، فَانْدَفَعَتِ الْجُيُوشُ تجُوسُ خِلالَ الدِّيارِ ، وتُخَرِّبُها ..

وحَكَمَ فيهِم بُختنصَّرُ بحُكْمِ الْجَاهِلِيَّةِ ، فقَتَلَ ثُلُثَ شَعْبِ إِسْرائيلَ ، وهُمُ الرجَالُ الْقَادِرون على حَمْلِ السِّلاحِ و الْقِتَالِ ..

وأَخَذَ الثُّلثَ أَسْرَى ، وهُمُ النِّساءُ والأَطْفَالُ ، وترَكَ الثُّلُثَ ، وهُمُ الشُّيوخُ والْعَجائِزُ وذَوُو الْعَاهَات ..

ولَمْ يَكْتَفِ بُختَنصَّرُ بذلكَ ، بلْ داسَهُم بِالأَخْيالِ ، وأَمَرَ بِهَدْمِ بَيْت الْمَقْدِسِ ، وساقَ النِّساءَ والصِّبْيانَ إلى أَسْواقِ الرَّقيقِ يُباعُونَ بَيْعَ الْجَوارى والْعَبيدِ ..

كما خرَّبَ الْحُصُونَ وهدَمَ الْبُيُوتَ والْمَسَاجِدَ ، وحرَقَ التَّوْراةَ ، كتَابَ اللَّـهِ الذى أُنْزلَهُ على مُوسَى عليه السلام ..

فلمَّا انْتَهى بُختنصَّرُ مِنْ تَخْرِيبِ مَمْلَكَةِ اليَهُودِ ، كمَا أنْذرَهُمُ اللَّـهُ ـ تعَالَى ـ وتوَعَّدَهُمْ ، حَمَلَ الأمْوالَ والْكُنُوزَ مِنَ الذَّهبِ و الْفِضَّة و الْمُجوْهَراتِ الثَّمينة ، وسَاقَ الأَسْرَى عائدًا إلى مَمْلَكَةِ بابل ..

ويقالُ أن بُختنصَّرَ قد علم أنَّ بنى إسْرائيلَ كانَ لَهُمْ نبِىٌّ يُدْعَى أَرْميَا ، و أنَّ اللَّـهَ ـ تعَالَى ـ قدْ أَوحى إِلَيْه فَحَذَّرَهُمْ ممَّا أَصَابَهُمْ ، ووَصَفَ لَهُمْ مَا حَدَثَ مِنْ غَزْوٍ على يَدَيْه ، قَبْلَ أَنْ يَحْدُثَ ، وأَنَّ بنى إسْرائيلَ قدْ كذَّبُوا نبيَّهُمْ وضَرَبُوهُ ، ثمَّ قيَّدُوهُ و سَجَنُوهُ ..

ويُقالُ إن بُختنصَّرَ لمَّا علِمَ بذلِكَ أمَرَ بإخْراجِ النّبِى أرْميَا عليه السلام من السجْنِ ، ثُمَّ سَأَلَهُ قائِلاً :

ـ هلْ كُنْتَ تُحذِّرُ هؤلاءِ الْقَوْمِ مما أَصَابَهُمْ على يَدَىَّ ؟!

فقالَ أرْميَا عليه السلام :

ـ نعَمْ ، لَقَدْ أرسلَنِى اللَّـهُ إِلَيْهِمْ ، وأَوْحَى إِلَىَّ بذَلكَ ..

فقالَ بُختنَصَّرُ :

ـ بِئْسَ الْقَوْمُ ، كذَّبُوا نبِيَّهُمْ ، وكَذَّبُوا رِسالَةَ ربِّهِمْ ، فَهَلْ لَكَ أَنْ تَلْحَقَ بى ، فأُكْرِمَكَ وأُواسِيَكَ ، وإِنْ أَحْبَبْتَ أَنْ تُقيمَ فى بِلادِكَ فقَدْ أَمَّنْتُكَ ..

فقالَ لهُ أَرْميَا عليه السلام :

ـ لمْ أزَلْ فى أَمانِ اللَّـهِ ، مُنْذُ كُنْتُ ، لَمْ أَخْرُجْ مِنْهُ سَاعةً قطُّ ، ولَوْ أَنَّ بنى إسْرائيلَ لمْ يَخْرُجُوا مِنْ أمانِ اللَّـهِ ، لمْ يَخافُوكَ ولا غَيْرَكَ ، ولمْ يكُنْ لكَ علَيْهِمْ سُلْطَانٌ ..

ويُقالُ إنَّ بُختنصَّر قدْ رحَلَ إلى بلادِه ، وبَقِى أرْميا عليه السلام يعيشُ فى مملَكةِ بنى إسْرائيل والَّتى صارَتْ خرائِبَ ترْتعُ فيها السِّباعُ والْوُحُوش وتَنْعقُ فيها الْبُومُ والْغربانُ ..

ويُقالُ إنَّ من بقى فى ممْلكةِ بنى إسْرائيلَ من الشُّيوخِ والْعجائزِ والضُّعفاءِ وذوى الْعاهات قد ذهبُوا إلى النَّبى أرْميا عليه السلام وقالوا له :

ـ لَقدْ أخْطأْنا وأسأْنا وظَلَمْنا ، وَنحنُ نَتُوبُ إلى اللَّهِ ـ عزَّ وَجلَّ ـ ممَّا صَنعْنا ، فادْعُ اللَّهَ أنْ يَقْبلَ توْبتَنا ..

فدعا أرْميا عليه السلام ربَّهُ ، فأوْحَى اللَّهُ إليْهِ أنَّهُ غيْرُ فاعلٍ ، فإنْ كانُوا صادِقِين ، فَلْيُقيمُوا مَعَك بهذه الْبَلْدَة ..

فلمَّا أخْبرَهُم أرْميا عليه السلام بِمَا أمَرَهُ بِهِ اللهُ ـ تعالَى ، قالُوا له :

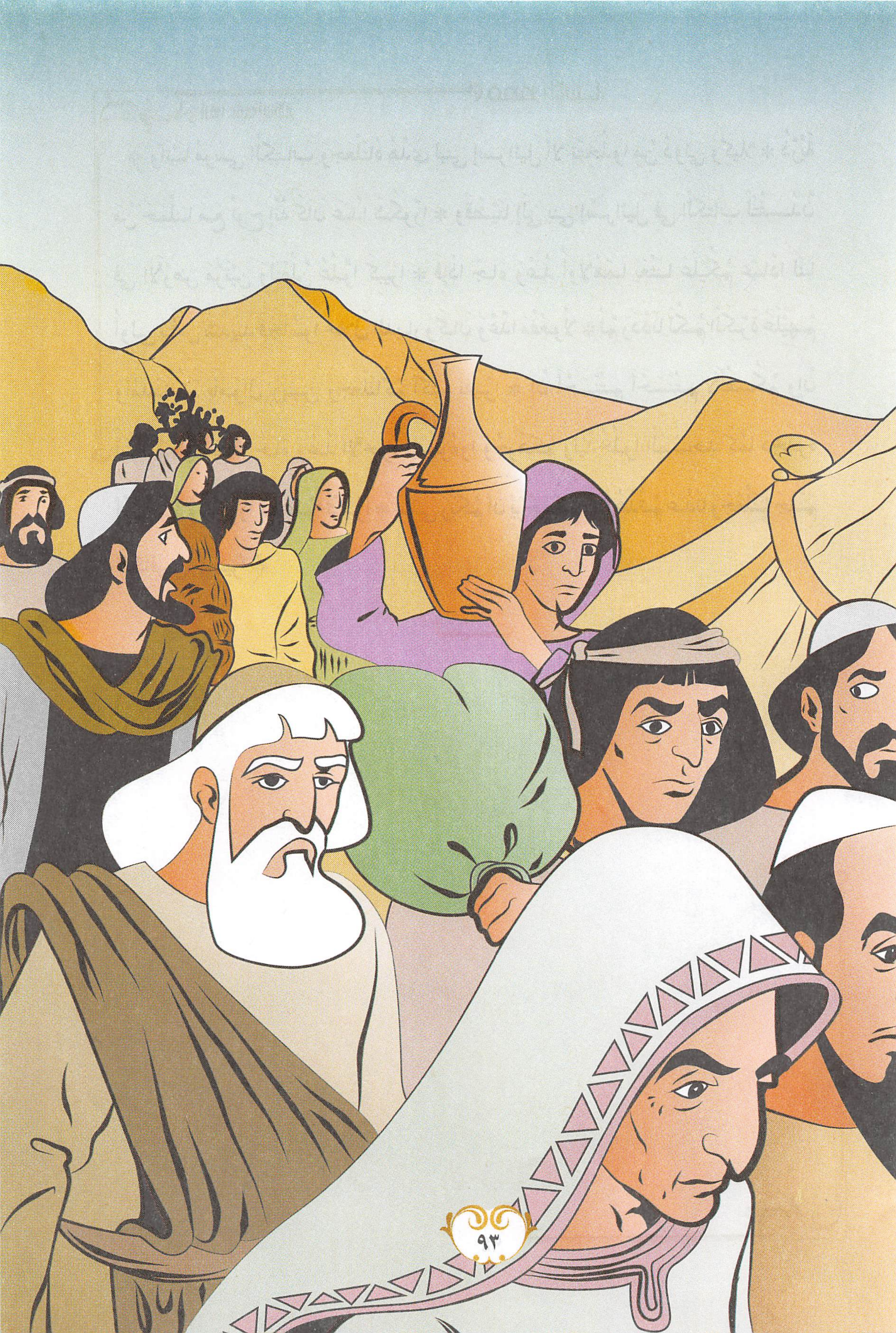
ـ كيْفَ نُقيمُ بِهذِهِ الْبَلْدَةِ ، وقدْ خُرِّبَتْ ، وَغضبَ اللَّهُ على أهْلِها .

وَرفضُوا أنْ يُقيمُوا بها .. ومنْ ذلكَ الْوَقْتِ تفرَّقَ بنُو إسْرائيلَ فى الْبِلادِ ، فنزلَتْ طائفةٌ منْهُمْ بالْحِجازِ ، وطائِفَةٌ نزلَتْ يثْربَ وهى الْمدينةُ الْمُنوَّرةُ ، وطائفةٌ وادى الْقُرى ، وطائِفَةٌ سافرَتْ إلى مِصْرَ ، وأُخرى إلى بِلادِ الْمغربِ ..

وهكذا تحقَّقَ وَعيدُ اللَّهِ ـ تعالَى ـ وانْتِقامُهُ منْ بنى إسْرائيلَ بسَببِ عِصْيانِهِمْ وكُفْرِهِمْ وَقَتْلِهِمْ أنْبياءَ اللَّهِ ، وكَثْرةِ ذُنُوبِهِمْ ومعاصِيهِمْ ، وتحْريفِهِمُ التَّوْراةَ ، ونَقْضِ العُهُود والْمواثيق معَ اللَّهِ ..

وقدْ قصَّ القُرآنُ الكريمُ قصَّةَ تخْريبِ ممْلكةِ الْيهُودِ ، وتخْريبِ بيْتِ الْمَقْدِسِ فى هذه الآيات :





﴿ وآتَيْنا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لبنى إِسْرائيلَ أَلا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِى وَكِيلا * ذُرِّيَّة مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا * وقَضَيْنا إِلَى بنى إِسْرائيلَ فِى الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِى الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا * فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاَهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خلالَ الديارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولاً * ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا * إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُم لأَنْفُسِكُمْ وإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرة لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّة وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا * عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وإِنْ عُدْتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴾

تَمَّتْ



قصص الأنبياء

العزير عليه السلام

العزير عليه السلام

كَانَ عُزَيْرٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ نبيًّا مِنْ أَنْبِياءِ بَنِى إِسْرائِيلَ ، وقدْ أَعطاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ ، وَمَنَّ عليْهِ بحفْظِ التَّوْرَاةِ ، فلَمْ يكُنْ فى بَنِى إِسْرائِيلَ كُلِّهِمْ أَحدٌ أَحْفظُ للتَّوْراةِ ، ولا أَعْلَمُ بها مِنْ عُزَيْر ..

وكانَ عُزَيْرٌ يَمْلِكُ ضَيْعَةً (وهى الأَرْضُ الْمَزْرُوعَةُ بأَشْجارِ الْفَاكِهةِ) ..

وذات يوم ركب عُزَيْرٌ حِمارَهُ وخرَجَ إِلَى ضَيْعَتِهِ يرْعَاهَا ، ويَتَفَقَّدُ شُئُونَها ، فلمَّا انْتَهى مِنْ عَمَلِهِ قَطَفَ بَعْضَ عَناقِيد الْعنَبِ وبَعْضَ ثِمارِ التينِ ، ووَضَعَها فى سَلَّةٍ كانَ يَحْمِلُ فيها بَعْضَ أَرْغفَةِ الْخُبْزِ الْجَافِّ ، وطَبَقًا فارغًا وإِناءً به ماءٌ للشُّرْبِ ، ورَكِبَ حِمارَهُ عائِدًا إِلَى بَيْتِهِ ..

كانَتِ الشَّمْسُ حارِقَةً ، والْجَوُّ حَارًّا ، وكانَ الطَّرِيقُ إِلَى بَيْتِ عُزَيْرٍ بعيدًا وشَاقًّا .. ولذلكَ شعَرَ عُزَيْرٌ بالتَّعَبِ والإِرْهاقِ مِنْ مَشَقَّةِ الطَّرِيقِ ..

مَرَّ عُزَيْرٌ بِأَطْلالِ قَرْيَةٍ قَديمَةٍ ، كانَتْ ذاتَ يَوْمٍ عامِرَةً بالْحَياةِ والأَحْياءِ ، لكنَّها الْيَوْمَ صَارَتْ خَرِبةً ، فقالَ لِنَفْسِهِ :

ـ لماذَا لا أَنْزِلُ عَنْ ظَهْرِ حِمارِى ، وأَسْتَرِيح فى ظِلِّ هذه الأَطْلالِ ، حتى تَجِفَّ وَطْأَةُ الْحَرِّ قليلا ، فأَعُودَ إِلَى بيْتِى ؟!

ونزلَ عُزَيْرٌ عَنْ حِمارِهِ ، فَرَبطَهُ فى شَجرة شَوْكٍ ، كانت نامية بين الأَطْلال ، وتخيَّر لِنَفْسِهِ مَكانًا ظليلاً ، فجلَسَ فيهِ ، ثم أَخْرجَ عُنْقُودَ عِنَبٍ مِنَ السَّلَّةِ الَّتى كانتْ معَهُ ، وعَصَرَهُ فى الطَّبَقِ ، وفَتَّتَ رَغيفًا مِنَ الْخُبْزِ الْجافِّ ، وأَلْقاهُ فى عَصِيرِ الْعنَبِ ، وانْتَظَرَ أَنْ يَبْتَلَّ الْخُبْزُ بالْعَصِيرِ لِيَسْهُلَ عليْهِ أَكْلُهُ ..



وخِلالَ ذلك أخذ عُزَيْرٌ يُجوِّلُ بنظَراتِه فى أرْجاءِ الْمَكانِ الْخَربِ ، فرأى بَيْنَ الأَطْلالِ عِظامًا باليَةً للنَّاسِ الَّذينَ كانُوا يعيشُونَ ذاتَ يومٍ فى هذِه الْقَرْيَةِ ..

نظرَ عُزَيْرٌ إلَى تِلْكَ العِظَام وقالَ مُتَعَجبًا فى نَفْسِه :

ـ كيْفَ يُحْيى اللَّهُ هذه الْعظَامَ بَعْدَ أنْ تَبْلَى ؟!

ولَمْ يكَدْ عُزَيْرٌ يَنْتَهى مِنْ تَعَجُّبِه وتساؤُلِه ، حتَّى بعَثَ اللَّهُ ـ تعالَى ـ إلَيْه مَلَكَ الْمَوْتِ ، فقَبَضَ روحَهُ ..

أَمَاتَ اللَّهُ عُزَيْرًا ، وأَمَاتَ حِمارَهُ ..

ومَضَتِ الأيَّامُ والشُّهُورُ والسَّنواتُ ..

لَمْ يَعُدْ عُزَيْرٌ لبَيْتِه .. بحَثَ عنْهُ أَهْلُهُ فلَمْ يَعْثُروا له أَوْ لِحمارِه علَى أَثَرٍ ..

وعرَفَ بَنُو إسْرائيلَ أنَّ نَبيَّهُمْ قَدِ اخْتَفَى .. وفى ذلكَ الْوَقْت مَرَّتْ بِبَنِى إسْرائيلَ أَحْداثٌ خَطِيرَة .. فَقَدُوا خِلالَها التوراة ، ولَمْ يكنْ بَيْنَهُمْ أَحَدٌ يَحْفَظُها .. ومَرَّتْ عَشَراتُ السَّنواتِ ، حتَّى اكْتمَلَ على مَوْتِ عُزَيْرٍ مِائَةُ عامٍ ..

وشَاءَتْ إرادَةُ اللَّهِ ـ تعالَى ـ أن يُعيدَ عُزَيْرًا إلَى الْحيَاةِ ، فأَرْسَلَ إليه مَلَكًا ، كَىْ يُعيدَ خلْقَهُ مرَّةً أُخْرَى بإذْنِ اللَّهِ ـ تعالَى ..

أَعادَ الْمَلَكُ تَجْميعَ عِظَامِ عُزَيْرٍ ، ثمَّ كَساهَا باللَّحْمِ ، ثمَّ كَسا اللَّحْمَ بالْجِلْدِ فالشَّعْرِ ، ثم نَفَخَ فيهِ الرُّوح بإذْنِ اللَّه ، فاسْتَوَى عُزَيْرٌ جالِسًا فى نَفْسِ الْمَكانِ الذى أَمَاتَهُ اللَّهُ فيه مُنْذُ مِائَةِ عامٍ ، فسَأَلَهُ الْمَلَكُ :

ـ كَمْ لَبِثْتَ ؟!

(يَقْصِدُ كَمْ نِمْتَ ؟!)



فقال عُزَيْرٌ :

ـ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ..

(أَىْ نِمتُ يَوْمًا ، أَوْ لم أُتمّ الْيَوْمَ ، لأَنَّهُ كانَ قدْ ماتَ عنْدَ الظهيرةِ ، وبَعَثَهُ اللّهُ إِلى الْحَياةِ فى آخرِ النَّهارِ ، قبْلَ غُروبِ الشَّمْسِ) ..

فقالَ له الْمَلَكُ :

ـ بلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ ..

وأَشارَ الْمَلَكُ إِلى طَعَامِ عُزَيرٍ مِنَ الْخُبْزِ والْعنَبِ فى الطَّبَقِ قائلاً :

فَانْظُرْ إِلى طَعَامِكَ وشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ .. (يَعْنِى لَمْ يَتغيَّرْ) فلما نظر عُزَيْرٌ إِلى طَعَامِهِ وشَرَابِهِ فى الطَّبَقِ وَجدَهُمَا على حَالِهِمَا ، وكذلك عَناقيدُ الْعِنَبِ والتينُ التى كانَتْ مَعَه فى السَّلَّةِ ، وجَدَهَا غضَّةً ناضِرةً طَرِيَّةً ، وكأَنَّهُ قَطَعَها حَالاً مِنْ شَجَرِهَا ، فتَعَجَّبَ فى نَفْسِه ، وكأَنَّهُ أَنْكَرَ فى قَلْبِهِ ، فقالَ له الْمَلَكُ :

ـ أَنْكَرْتَ ما قُلْتُهُ لكَ ، فانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ ..

نَظَرَ عُزَيْرٌ إِلَى الْمَكانِ الَّذى رَبطَ فيهِ حِمَارَهُ ، فلَمْ يَجِد الْحِمارَ ، ووَجد مَكانَهُ عظاما بالِيةً ، فزادَ تعجُّبُهُ .. ونادَى الْمَلَكُ عظَامَ الْحِمَار ، فأجابَتْ وأَقْبَلَتْ تَتجمَّعُ إِلَى بَعْضِها مِنْ كُلِّ نَاحيَةٍ ، حتّى اكْتملَ الْهَيْكَلُ الْعَظْمِىُّ لِلْحِمَارِ .. ثُمَّ أَلْبَسَها الْمَلَكُ الْعُروقَ والأَعْصَابَ وكَسَاهَا باللَّحمِ .. ثُمَّ بالْجِلْدِ والشَّعْرِ .. ثم نَفَخَ فيهِ الرُّوحَ ، فقامَ الْحِمَارُ بإِذْنِ اللّهِ ـ تعالى ـ كُلُّ ذلك وعُزَيْرٌ يَنْظُر إِلَى عَظِيمِ قُدْرَةِ اللّهِ فى إِحْيَاءِ الْمَوْتَى ..

قالَ ـ تعالَى :

﴿أو كالَّذى مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وهِى خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِى هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوتها فأماته اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قال لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ ولِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّه عَلَى كُلِّ شَىءٍ قَدِيرٌ﴾ [الآية ٢٥٩ من سورة البقرة]

رَأَى عُزَيْرٌ عليه السلام بِعَينيه الْقُدْرَةَ الإِلَهِيَّةَ وهى تعْمَلُ فى إِحْيَاءِ الْمَوْتَى ، فزادَ يَقِينُهُ بِقُدْرَةِ اللَّهِ ـ تعالَى ـ على كُل شَىْءٍ ..

بعدَ ذلكَ رَكب عُزَيْرٌ حِمَارَهُ ، وسَارَ عَائِدًا إِلَى قَرْيَتِه ..

وهناكَ وجَدَ شيْئًا عَجَبًا .. وجَدَ أَنَّ كُلَّ شَىْءٍ قدْ تغيَّرَ تمامًا عمَّا ترَكَهُ ..

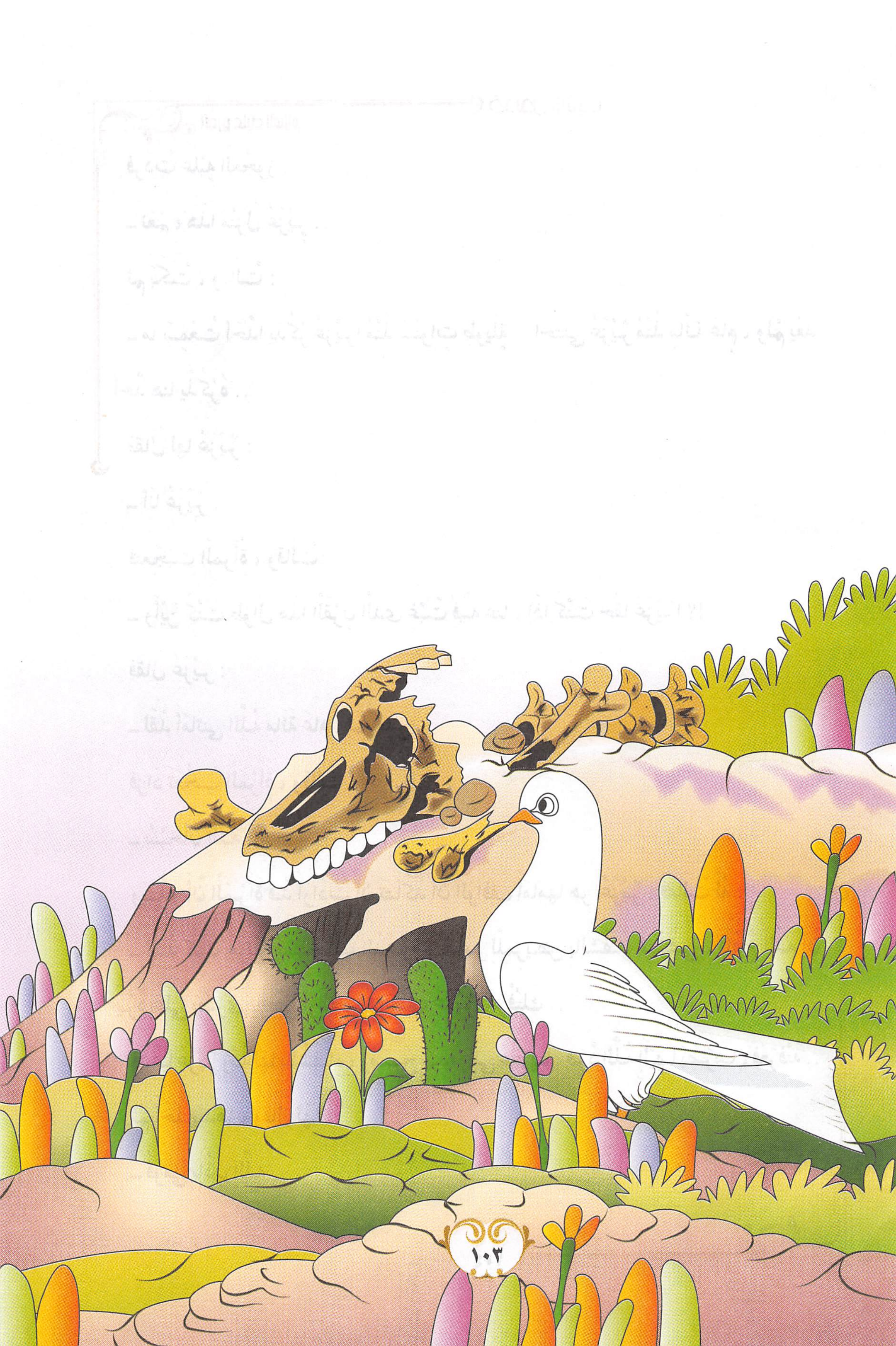
كانتِ الْبُيُوتُ غَيْرَ الْبُيُوتِ ، والشَّوَارِعُ غير الشَّوَارِعِ ، والنَّاسُ غَيْرَ النَّاسِ ..

تركَ عُزَيْرٌ يوْمَ غادَر قَرْيَتَهُ ناسًا يَعْرِفُهُمْ ويَعْرِفُونَهُ ، والْيَوْمَ يَجِدُ ناسًا لا يَعْرِفُهُمْ ولا يَعْرِفُونَهُ ..

طافَ بالشَّوَارِعِ حتى وصلَ إِلَى مَنْزِلِه ، لَمْ يَجِدْ أُمَّهُ ولا أَبَاهُ ولا زَوْجَتَهُ ،ولا أَحَدًا يَعْرِفُهُ ..

وعلى بابِ مَنْزِلِه وجدَ عُزَيْرٌ سَيِّدَةً عَجُوزًا ، مُقْعَدَةً قدْ أصابها الْعَمَى والْكِبَرُ ، وقدْ تَجاوَزَ عُمْرُها الْمائَةَ وعِشْرِينَ عامًا، ويوم ترك عُزَيْرٌ مَنْزِلَهُ كانَتْ هذهِ السَّيِّدَةُ أَمَةً (جارية) ، وكانَ عُمْرُهَا عِشْرِينَ عامًا يوْمَها ، فعَرفَها عُزَيْرٌ ، فاقْتَرَبَ مِنْها ، وقالَ لها :

ـ أَهَذا مَنْزِلُ عُزَيْرٍ يا أُمَّاهُ ؟!



فردَّتْ عليْهِ الْعَجُوزُ :

ـ نعَمْ ، هذَا مَنْزِلُ عُزَيْرٍ ..

ثم بَكَتْ ، وقالَتْ :

ـ ما سَمِعْتُ أَحَدًا يَذْكُرُ عُزَيْرًا مُنْذُ سَنواتٍ طويلَةٍ .. اخْتَفَى عُزَيْرٌ مُنْذُ مِائَةِ عَامٍ ، ولَمْ يَعُدْ أَحَدٌ هنا يَذْكُرُهُ ..

فقالَ لها عُزَيْرٌ :

ـ أنا عُزَيْرٌ ..

فتَعَجَّبَت الْمرأَةُ ، وقالَتْ:

ـ وأَيْنَ كُنْتَ طوالَ هذَا الْقَرْنِ الَّذِى غِبْتَ فِيهِ عَنَّا ، إِذَا كُنْتَ حقًّا عُزَيْرًا ؟!

فقالَ عُزَيْر :

ـ لقَدْ أَمَاتَنِى اللَّهُ مِائَةَ عامٍ ، ثمَّ بَعَثَنِى ..

فزادَ تعَجُّبُ الْمَرْأَةِ ، وقالَتْ :

ـ سُبْحانَ اللَّه ..

ويَبْدُو أَنَّ الْمَرْأَةَ قدْ أَرَادَتْ أن تتَأَكَّدَ أن الْوَاقِف أَمَامَها هو عُزَيْرٌ ، فقالَتْ لَهُ :

ـ لقَدْ كانَ عُزَيْرٌ مُسْتَجابَ الدَّعْوَةِ ، يدْعُو لِلْمرِيضِ بِالشفاءِ فَيُشْفَى ، فادْعُ اللَّهَ أنْ يَرُدَّ علَيَّ بَصَرِى ، حتّى أَرَاكَ ، فإِنْ كُنْتَ عُزَيْرًا عرَفْتُك ..

فدعَا عُزَيْرٌ رَبَّهُ لها بالشِّفَاءِ ، ومَسَحَ بِيَدِهِ على عَيْنَيْها ، فرَدَّ اللَّهُ إِلَيْها بَصَرَها ، فعرَفَتْهُ ..

ثم أَخَذَ بِيَدِها ، وقالَ لها :

ـ قُومِى بإِذْنِ اللَّهِ ..



فَأَطْلَقَ اللَّـهُ سَاقَيْهَا ، فقالَتْ:

ـ أَشْهَدُ أَنَّكَ عُزَيْرٌ ..

وانْطَلَقَتِ الْمَرْأَةُ مع عُزَيْرٍ إِلَى مَجَالِس بَنِى إِسْرائيلَ وأَنْدِيَتِهِمْ ، حتى وصَلَتْ مَجْلِسًا يجْلِسُ فِيهِ ابْنٌ مِنْ أَبْنَاءِ عُزَيْرٍ ، وكَانَ شَيْخًا عُمْرُهُ مِائَةٌ وثَمَانِى عَشْرَةَ سَنَةً ، وحَوْلَهُ أَبْنَاؤُهُ الشُّيُوخُ ، فنادَتْهُمْ قائِلَةً :

ـ هذا عُزَيْرٌ ، قَدْ جاءَكُمْ ..

فَنظَرُوا إِلَيْهَا باستخفَافٍ وكَذَّبُوها ، فقالَتْ لهُمْ :

ـ أنا فُلانَةُ ، وقَدْ دَعَا لِى عُزَيْرٌ رَبَّهُ فردَّ عَلَيَّ بَصَرِى وأَطْلَقَ سَاقَيَّ ، وقَدْ زَعَمَ عُزَيْرٌ أَنَّ اللَّـهَ أَمَاتَهُ مِائَةَ عَامٍ ، ثُمَّ بَعَثَهُ ..

فَأَقْبَلَ النَّاسُ على عُزَيْرٍ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ ، غَيْرَ مُصَدِّقِينَ ، وقالَ ابْنُ عُزَيْرٍ :

ـ كانَ لأَبِى شَامَةٌ سَوْدَاءُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ ..

فلَمَّا كشَفَ عُزَيْرٌ عن كَتِفَيْهِ تأَكَّدُوا مِنْ وُجُودِ الشَّامَةِ بيْنَ كَتِفَيْهِ ، وعَرَفُوا أنه عُزَيْرٌ ، فقالُوا لَه :

ـ لَمْ يَكُنْ فِينا أَحَدٌ حفِظَ التَّوْرَاةَ ـ فِيما حُدِّثْنَا ـ غَيْرُ عُزَيْرٍ ، وقَدْ حرَقَ بُخْتنصَّرُ التَّوْرَاةَ ، ولَمْ يَبْقَ مِنها شَيْءٌ ، إلا ما حَفِظَتِ الرِّجالُ ، فاكْتُبْها لنَا ..

ويُقالُ إِنَّ أَبَا عُزَيْرٍ كانَ قَدْ دفَنَ التَّوْرَاةَ أَيَّامَ غَزْوِ بُخْتَنَصَّرَ ، فى مَوْضِعٍ لا يَعْرِفُهُ أَحَدٌ غيْرُ عُزَيْرٍ ، فانْطَلَقَ بهِمْ عُزَيْرٌ إلى ذلك الْمَوْضِعِ ، فحفَرَهُ واسْتَخْرَجَ التَّوْرَاةَ ، وكانَ وَرَقُها قدْ تآكَلَ مِنْ رُطُوبَةِ الأَرْضِ ..

وجلسَ عُزَيْرٌ فى ظِلِّ شَجَرةٍ وبَنُو إِسْرائِيلَ حوْلَهُ ، فجَدَّدَ لَهُمُ التَّوْرَاةَ ..

ويُقال إِنَّـهُ نزَلَ مِنَ السَّماءِ شهابَانِ مِنْ نُورٍ فدَخَلا صَدْرَهُ ، فتذَكَّرَ التَّوْرَاةَ وجَدَّدَها لبَنِى إِسْرائِيـلَ ، وقامَ بأَمْرِ بَنِى إِسْرائِيـلَ حتى توَفَّاهُ اللَّـهُ ـ تعالَى ..

وقدْ قالَ اللَّـهُ ـ تعالَى ـ لعُزَيْرٍ :

﴿ ولِنَجْعَلَكَ آيَةً للنَّـاسِ .. ﴾

وذَلكَ أَنَّ عُزَيْرًا كانَ يجْلسُ مع بَنِيهِ الشُّيُوخِ ، وهوَ شَابٌّ فى الأَرْبَعينَ ، لأَنَّ اللَّـهَ كانَ قدْ أَمَاتَهُ وهوَ فى الأَرْبَعينَ ، وبَعَثَهُ شَابًّا كَهَيْئَتِهِ يوْمَ أَمَاتَهُ ..

تَمَّـــتْ

قصص الأنبياء

زكريا عليه السلام



زكريا عليه السلام

فى ذلكَ الزَّمَنِ الَّذى بعثَ اللَّهُ ـ تعالَى ـ فِيه زكَرِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ نبيًّا إلى بَنِى إسْرَائيلَ ، كانَ هُناكَ عالِمٌ جَليلٌ مِنْ عُلَماءِ بَنِى إسْرَائيلَ ، وكانَ هذا الْعالِمُ الْجَليلُ هوَ عِمْرَانُ ..

كانَ عِمْرَانُ هوَ إمَامَ بَنِى إسْرَائيلَ فى الصَّلاةِ ، والَّذى يُصلُّونَ خَلْفَهُ فى بَيْتِ الْمَقْدِسِ ..

وكانَتْ لِعِمْرانَ زَوْجَةٌ ، هِىَ أُخْتُ زَوْجَةِ النَّبى زكَرِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ ..

ويَبْدُو أنَّ زَوْجَةَ عِمْرَانَ لمْ تَكُنْ قدْ أَنْجَبَتْ مِنْ زَوْجِها ، كمَا أنَّ زَوْجَةَ زكَرِيًّا لمْ تَكُنْ قدْ أَنْجَبَتْ منْهُ .. وذاتَ يَوْمٍ رَأَتْ زَوْجَةُ عِمْرَانَ مَنْظَرًا حرَّكَ فى دَاخِلِها الشَّوْقَ والْحَنينَ إلَى الإنْجابِ ..

رَأَتْ زَوْجَةُ عِمْرَانَ طائِرًا يُطْعِمُ فَرْخَهُ الصَّغير ويَضُمُّهُ إلَيْه ، ويَحْنُو علَيْهِ ، فدَعَتْ رَبَّها طالِبَةً مِنْهُ أنْ يَرْزُقَها بِطِفْلٍ ..

واسْتَجابَ اللَّهُ ـ تعالَى ـ دُعاءَ زَوْجَةِ عِمْرَانَ ، فشَعَرَتْ يوْمًا أنَّها حَامِلٌ ..

شكَرَتْ زَوْجَةُ عِمْرَانَ رَبَّهَا ، ونَذَرَتْ لهُ الطِفْلَ الَّذى بِبَطْنِها خالِصًا مُحرَّرًا ..

نذرتْ زَوْجَةُ عِمْرَانَ ما فى بطْنِها ، لِيَتَفَرَّغَ لِعبادَةِ اللَّهِ ـ تعالَى ـ وخِدْمَةِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ..

قالَ ـ تعالَى :

﴿ إذْ قالتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّى إنَّكَ أنْتَ السَّميعُ الْعَليمُ ﴾ [الآية ٣٥ من سورة آل عمران]

ومضَتْ شُهُورُ الْحَمْلِ ..

وجاءَ يوْمُ الْوضْعِ ، فَفُوجِئَتْ زَوْجَةُ عِمْرَانَ بأنَّها تضَعُ مَولُودًا بِنْتًا ، وقدْ كانَتْ تَتمنَّى أنْ يَكُونَ الْمَوْلودُ وَلدًا ، لِيَكُونَ أَقْدَرَ على الْعِبادَة ، وعلَى خِدْمَةِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، وَبِرَغْمِ ذلكَ قَرَّرَتْ أنْ تفِى بِنَذْرِها ، وتَهَبَ الْبِنْتَ لِلْعِبادَة وخِدْمَةِ الْمَسْجِدِ..



وأَطْلَقَتْ زوْجَة عِمْرَانَ على مَوْلُودَتِها اسْمَ (مَرْيَم) ، ثمَّ توجَّهَتْ إلى ربِّها قائلةً :

﴿ ربِّ إنِّي وَضعْتُهَا أُنْثَى واللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كالأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ ﴾ . [من الآية ٣٦ من سورة آل عمران]

سَمِعَ اللَّهُ - تعالَى - دُعَاءَ زَوْجَةِ عِمْرَانَ ، وهو وحْدَهُ الَّذى يسْمَعُ كَلامَ عِبَادِه ، حتَّى لَوْ كانَ كلامُهُمْ هَمْسًا ، أَوْ دُعَاءً خَفيًّا لَمْ تَنْطِقْ بـهِ شِفَاهُنا .. سَمِعَها سُبْحانَهُ وهى تُخْبِرُهُ بِنَوْعِ الْمَوْلودِ الَّذى وضَعَتْهُ ، وأَنَّهُ أُنْثَى وليْسَ ذَكَرًا كما كانَتْ تَتَمَنَّى ، وهو وحْدَهُ أَعْلَمُ بِنوْعِ الْمَوْلودِ ، لأَنَّهُ هو الذى يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إناثًا ، ويَهَبُ لمن يشاء الذكور .. ودَعَتْ زوْجَة عِمْرَانَ رَبِّها قائلةً :

﴿ وَإِنِّى أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ * فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾ . [الآيتان ٣٦ ، ٣٧ من سورة آل عمران]

وكانَ عِمْرَانُ قدْ تُوفِّى قَبْلَ أَنْ تضعَ زَوْجَتُهُ مَوْلُودَتَها مَرْيَم ، ولِذلكَ تَسابَقَ عُلَمَاءُ بَنى إسْرَائيلَ علَى كَفالَةِ الصَّغيرة مَرْيَم .. كُلُّ واحِدٍ مِنَ الْعُلَماءِ كانَ يتمَنَّى أَنْ يكُونَ لهُ شَرَفُ تَرْبيَةِ مَرْيَم ، ابْنَةِ شَيْخِهِمْ ، وإمَامِهِمْ فى الصَّلاةِ عِمْرَانَ ..

وكانَ النَّبى زكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ أَوَّلَ الْمُتسابِقينَ على كَفالَةِ مَرْيَمَ ، باعْتِبارِه نبىَّ بَنى إسْرَائيلَ ، وباعْتِبَارِ أنه أَقْرَبُ واحِدٍ لِمَرْيَمَ ، حيْثُ إنَّ زوْجَتَهُ خالَتُها ..

وكادَ الْخِصامُ يقَعُ بيْنَ الْعُلَماءِ ، بِسَبَبِ حِرْصِ كُلٍّ منهُمْ على أَنْ يكونَ هو كَافِلَ مَرْيَمَ والْقائمَ علَى تَرْبيتها ..

ومَنْعًا للْخصامِ اتَّفقُوا على إجْراءِ الْقُرْعَةِ ، فمنْ كسَبَ الْقُرْعَةَ مِنْهم ، كانَ هو الْفائِز بتَرْبية مَرْيَم ..



وبَدأ إِجْراءُ الْقُرْعَةِ .. وضعَ زكريَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ قلَمهُ فى وِعَاءٍ ، ووضَعَ كُلُّ واحد مِنَ الْعُلَماءِ قلَمهُ فى نفْسِ الْوِعاءِ ..

وأَحْضَروا طفْلاً صَغيرًا وطَلبُوا منه أنْ يُخرِجَ قلمًا مِنَ الْوِعاءِ ، الذى وُضِعَتْ فِيه الأَقْلامُ .. فأخرج الطفل قلم زكَرِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ ..

حكَمَ اللّهُ ـ تعالَى ـ لزكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ بأَنْ يَكْفُلَ مَرْيَمَ ..

ولكنَّ الْعُلمَاء اعْتَرَضُوا .. قَالُوا :

ـ لَمْ تُجْرَ الْقُرْعَة سِوَى مَرَّةٍ واحِدَةٍ ، ولابُدَّ مِنْ إِجْرائِها ثَلاثَ مرَّاتٍ ..

وبدأ إِجْراءُ الْقُرْعَةِ لِلْمَرَّةِ الثَّانِيَة ..

وفى هذهِ الْمَرَّةِ ، قالُوا :

ـ سَيُلقى كلٌّ مِنا قلَمَهُ فى النَّهْرِ فَمَنْ سارَ قلَمهُ عكْسَ اتجاهِ الْمِياهِ ، يكُونُ هو صَاحِبَ الْحَقِّ فى كَفَالَةِ مَرْيَم ..

وألقوا أَقْلامَهُمْ فى النَّهْرِ ، فسارتِ الأَقْلامُ جميعًا فى اتِّجاه سيْرِ الْمِياهِ ، فيما عَدا قلمًا واحدًا سَارَ عكْسَ اتجاهِ سيْرِ الْمِياهِ .. وكانَ هذا الْقَلَمُ هو قلَمَ زكَرِيًّا ..

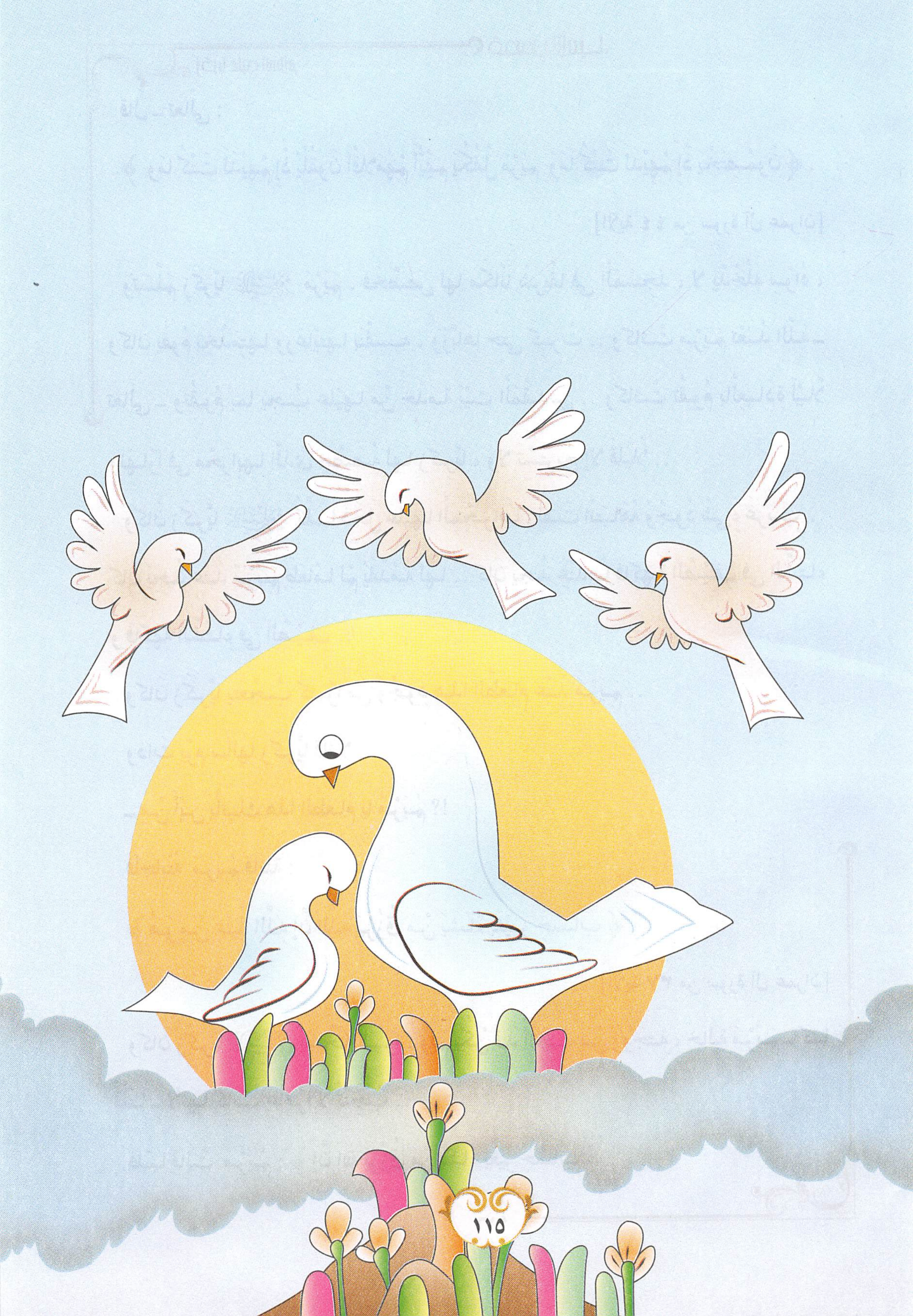
وبدأَ إِجْراءُ الْقُرْعَةِ لِلْمَرَّة الثَّالثَة ..

وفى هذهِ الْمَرَّةِ ، قالُوا :

ـ سَيُلقى كلٌّ مِنا قلَمَهُ فى النَّهر ، ومَنْ سارَ قلَمهُ فى اتِّجاه سيْرِ الْمِياهِ ـ بَيْنَمَا بقِيَّةُ الأَقْلامِ تسيرُ عكْسَ سيْرِ الْمياهِ ـ يكونُ الْفَائِز بالْقُرْعة ..

وألقوا الأَقْلامَ فى النَّهْرِ ، وفى هذهِ الْمَرَّةِ سارَ قلَم زكَرِيًّا فى اتِّجاه سيْرِ الْمِياهِ ، بَيْنَمَا بقِيَّةُ الأَقْلام عكْسَ اتِّجاه سيْرِ الْمِياهِ ..

وهكذا فازَ زكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ بكَفالَةِ مَرْيَم ، وفى هذهِ الْمَرَّةِ لَمْ يَعْتَرِض أَحَدٌ..



قال ـ تعالَى :

﴿ وما كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ أَيُّهُم يَكْفُلُ مَرْيَم وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ .

[الآية ٤٤ من سورة آل عمران]

وتسلَّمَ زكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ مَرْيَمَ ، فخَصَّصَ لها مكانًا شريفًا فى الْمَسْجِدِ ، لا يدْخُله سِوَاهُ ، وكانَ يقُومُ بخِدْمَتِها ورِعَايَتِهَا بنفْسِه ، ورَبَّاهَا حتى كَبِرتْ .. وكانَتْ مَرْيَمَ تعْبُدُ اللَّهَ ـ تعالَى ـ وتقُومُ بما يَجِبُ علَيْها مِنْ خِدْمَةِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ .. وكانتْ تقُومُ بالْعِبادَةِ لَيْلاً ونهارًا فى محْرابِها الَّذى خصَّصَهُ لها زكَرِيَّا ، ولا تَسْتَرِيحُ إلا قليلاً ..

وكانَ زكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ كُلَّما دخَلَ عَليْها الْمِحْرابَ ، لَفَتَ انْتِباهَهُ وُجُودُ شَيءٍ غَرِيبٍ .. كانَ يَجِدُ عِنْدَ مَرْيَمَ طَعَامًا لَمْ يُقَدِّمْهُ لها .. كانَ يَجِدُ عِنْدَها فاكِهَةَ الصَّيْفِ فى الشِّتَاءِ و فاكهة الشِّتَاءِ فى الصَّيْفِ ..

وكانَ زكَرِيَّا يتعَجَّبُ كثيرًا مِنْ وُجُودِ هذا الطَّعَامِ عِنْدَ مَرْيَمَ ..

وذاتَ يَوْمٍ سَأَلها زكَرِيَّا قائلاً :

ـ مِنْ أَيْنَ يأْتِيك هذا الطَّعَامُ يا مَرْيَمُ ؟!

فأجابَتْهُ مَرْيَمُ قائلَةً :

﴿ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ .

[الآية ٣٧ من سورة آل عمران]

وكانَ زكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ شيخًا كَبِيرًا ، ولَمْ يكُنْ قدْ أَنْجَبَ مِنْ زَوْجَتِهِ ، خالَةِ مَرْيَمَ ـ كما قُلْنا ـ لأَنها كانَتْ عاقِرًا لا تُنْجِبُ ..

فلمَّا قالَتْ مَرْيَمُ : ﴿ إِنَّ اللهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ .

تَعَجَّبَ زكريَّا في نَفْسِه ، ودعا ربَّه أَنْ يَرْزُقَهُ وَلَدًا ، لِيَرِثَهُ في الْعِلْمِ والنُّبُوَّةِ ، لأَنَّه كانَ يَخْشَى على قَوْمِه الْفِتْنَةَ والضَّلالَ مِنْ بَعْدِهِ ..

قالَ ـ تعالَى :

﴿ ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا * إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا * قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا * وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾ .

[الآيات من ٢ ـ ٦ من سورة مريم]

هَمَسَ زكريَّا عليه السلام مُنَاجِيًا ربَّهُ في قَلْبِه ، أَنْ يَهَبَهُ طِفْلاً ، ولَمْ يكَدْ يَنْتَهِي مِنْ أُمْنِيَّتِه ، حتى جاءَهُ وَحْيُ اللهِ مُخَاطِبًا :

﴿ يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ﴾ .

[الآية ٧ من سورة مريم]

فُوجِئَ زكريَّا عليه السلام بِهذهِ الْبُشْرَى مِنَ اللهِ ـ تعالى ـ فأَحَسَّ في قَلْبِهِ بالْفَرَحِ ، لكنَّهُ تساءَلَ مُنْدَهِشًا :

﴿ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴾ .

[الآية ٨ من سورة مريم]

وجاءَهُ وَحْيُ اللهِ قائلاً :

﴿ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴾ .

[الآية ٩ من سورة مريم]





أَبْلَغَتْهُ الْمَلائِكَةُ أَنَّ اللهَ يُبَشِّرُهُ بِغُلامٍ لَمْ يَجْعَلْ لَهُ شَبِيهًا مِنْ قَبْلُ ، وَأَنَّ هَذا الْغُلامَ سَوْفَ يكونُ اسْمُهُ يَحْيَى ..

اخْتارَ اللهُ ـ تعالَى ـ اسْمَ الْغُلامِ ، الَّذى سيُرْزَقُ به نَبِيُّهُ زكرِيَّا .. فلمَّا تعَجَّبَ زكَرِيَّا عليه السلام مِنْ هذَا الإنْجابِ عَلَى كِبَرٍ ، وامْرَأَتُهُ عاقِرٌ لا تُنْجِبُ ، أَخْبَرَتْهُ الْملائِكَةُ بأَنَّ هذه هى إرادَةُ اللهِ ـ تعالَى ـ ومَشِيئَتُهُ ، وقدْ خلقَ اللهُ زكريَّا منْ قَبْلُ ولَمْ يكُنْ شَيْئًا ..

وناجَى زكريَّا عليه السلام ربَّهُ طالبًا مِنْهُ أَنْ يَجْعَلَ له آيَةً أَوْ عَلامَةً ، تَدُلُّهُ على أَنَّهُ قدْ رُزِقَ بهذَا الْوَلَدِ ، الذى بَشَّرَهُ به ..

قالَ ـ تعالَى :

﴿ قالَ رَبِّ اجْعَلْ لِى آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَ لَيالٍ سَوِيًّا ﴾ .

[الآية ١٠ من سورة مريم]

أَوْحَى لهُ اللهُ ـ تعالَى ـ أَنَّ عَلامَةَ ذلكَ أَنْ يَجِدَ زكريَّا نَفْسَهُ صَائمًا عَنِ الْكَلامِ ، وأَنَّ عليْهِ وقْتَها أَنْ يَتحدَّثَ إِلَى النَّاسِ بالإِشارَةِ ، وأَنْ يُسَبِّحَ اللهَ فى الصَّباحِ والْمَساءِ ، وأَنْ يأْمُرَ النَّاسَ بالإِكْثارِ مِن التَّسْبيحِ ..

وخرجَ زكريَّا عليه السلام على النَّاسِ ذاتَ يَوْمٍ ، فوَجَد نَفْسَهُ صَائمًا عَنِ الْكَلامِ ، فعَرَفَ أَنَّ زَوْجَتَهُ قدْ أَصْبحَتْ حامِلاً بالْمَوْلُودِ الَّذى بشَّرَهُ اللهُ ـ تعالَى ـ بِهِ ، فتَهَلَّلَ قَلْبُهُ بالْفَرحِ والشُّكْرِ للهِ ، وأَخذَ يُكْثِرُ مِنْ تَسْبِيحِهِ ، ويأْمُرُ النَّاسَ عَنْ طَرِيقِ الإِشَارَةِ بالإِكْثارِ مِن حَمْدِ اللهِ وتَسْبِيحِهِ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ..

وانْقَضتْ شُهورُ حَمْلِ زَوْجَةِ زكرِيَّا ، فوَضَعَتِ الْمَوْلُودَ ، الذى بشَّرَ اللهُ ـ تعالَى ـ به ، وأَسْماهُ يَحْيَى ..

تَمَّتْ



قصص الأنبياء

يحيى عليه السلام



يحيى عليه السلام

كَفَلَ نبى اللهِ زكريًّا عليه السلام مَرْيَم ابْنَةَ عِمْرَانَ ، وكانَ كُلَّما دخلَ عليْها الْمِحْراب وجَدَ عِنْدهَا رِزْقًا ، فكانَ يَسْألُها :

ـ مِنْ أَيْن لكِ هذا ؟!

وكانتْ تُجيبُهُ ، بأَنَّ هذا الرِّزْقَ مِنْ عِنْدِ اللهِ ، وأَنَّ اللهَ يرْزُق مَنْ يشاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ .. فتمنَّى زكريَّا عليه السلام فى نَفْسِهِ ، ودَعا اللهَ (تعالَى) بصَوْتٍ غَيْرِ مَسْمُوعٍ أَنْ يرْزُقَهُ ابْنًا يَرِثُهُ فى الْعِلْمِ والنُّبُوَّةِ ، ويَرِثُ أَجْدَادَهُ مِنَ الأَنْبياءِ ، وبَشَّرَهُ اللهُ (تعالَى) بأنَهُ سَيُنْجِبُ غُلامًا ، لَيْسَ لهُ مَثِيلٌ ولا شَبِيهٌ مِنْ قَبْلُ ، وسيَكُونُ اسْمُهُ يَحْيَى ، وأَخْبَرهُ أَنَّ علامَةَ ذلِك أَنْ يجدَ زكريَّا نَفْسَهُ وقد صَامَ عنِ الْكَلامِ ، وأَمَرَهُ أَنْ يُكْثِرَ مِنَ التَّسْبيحِ ، فى أَوَّلِ النَّهارِ وآخِرِهِ ، فأَخذَ زكريَّا يُكْثِرُ مِنَ التَّسْبيحِ ، ويأْمُرُ قَوْمَهُ بهِ ..

وحدثَتِ الْمُعْجِزَةُ ..

حملَتْ زَوْجَةُ زكريَّا بالطِّفْلِ الَّذى بشَّرَ اللهُ (تعالَى) به زَوْجَهَا .. فلمَّا تَمَّتْ أَشْهُرُ الْحَمْلِ ، وضَعَتْ زوْجَةُ زكريَّا الطِّفْلَ الْمُبَارَكَ ، وأَطْلَقُوا علَيْهِ الاسْمَ الذى اخْتارَهُ اللهُ لَهُ ، قَبْلَ أَنْ يُولَدَ ..

فكانَ يَحْيَى عليه السلام كما شَهِدَ اللهُ (تعالَى) لَهُ ، بأَنَّه لَمْ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ شبِيهًا ولا مَثِيلاً فى خَلْقِهِ وخُلُقِهِ ..

ولقدْ علَّمَه اللهُ (تعالَى) الْكِتَابَ والْحِكْمَةَ ، وهو فى سِنٍّ صَغيرةٍ .. وفى الْوَقْتِ الذى كانَ أَمْثالُهُ مِنَ الصِّبْيانِ يَلْهُونَ ويلْعَبونَ كانَ يَحْيَى عليه السلام يَدْرُسُ التَّوْرَاةَ ويتعَلَّمُ أَحْكامَها ..





قال (تعالى) :

﴿ يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ .. [سورة مريم : ١٢]

ولقدْ علَّمَهُ اللهُ (تعالَى) أَحْكامَ التَّوْراةِ ، وحَلالَها وحَرامَها ، وهو لَمْ يَزَلْ صَبِيًّا صغيرًا ، فلَمْ يكنْ أَحَدٌ أَعْلَمَ بأَحْكامِ التَّوْراةِ مِنْ يَحْيَى بْنِ زكريًّا ـ عليْهمَا السَّلامُ ..

قالَ (تعالَى) :

﴿ .. .. وآتيْناهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ .

ويُرْوَى أنَّ الصِّبْيانَ قالُوا لِيَحْيَى ذاتَ يَوْمٍ :

ـ اذْهَبْ بنا نَلْعَبْ ..

فردَّ عليْهِمْ قَائِلاً :

ـ ما لِلَّعِبِ خُلِقْنا ..

وقدْ وَهَبَ اللهُ لِزكريا ابْنَهُ يَحْيَى ـ عليْهما السَّلامُ ـ رحْمَةً مِنْهُ به فى كِبَرِه ، ومَحبةً لَهُ ..

وأَيْضًا رحْمَةً لِقَوْمه ، ومَحَبَّةً لهمْ ، وشفقَةً عَلَيْهِمْ وبِرًّا بوَالِدَيْهِ ..

قالَ (تعالَى) :

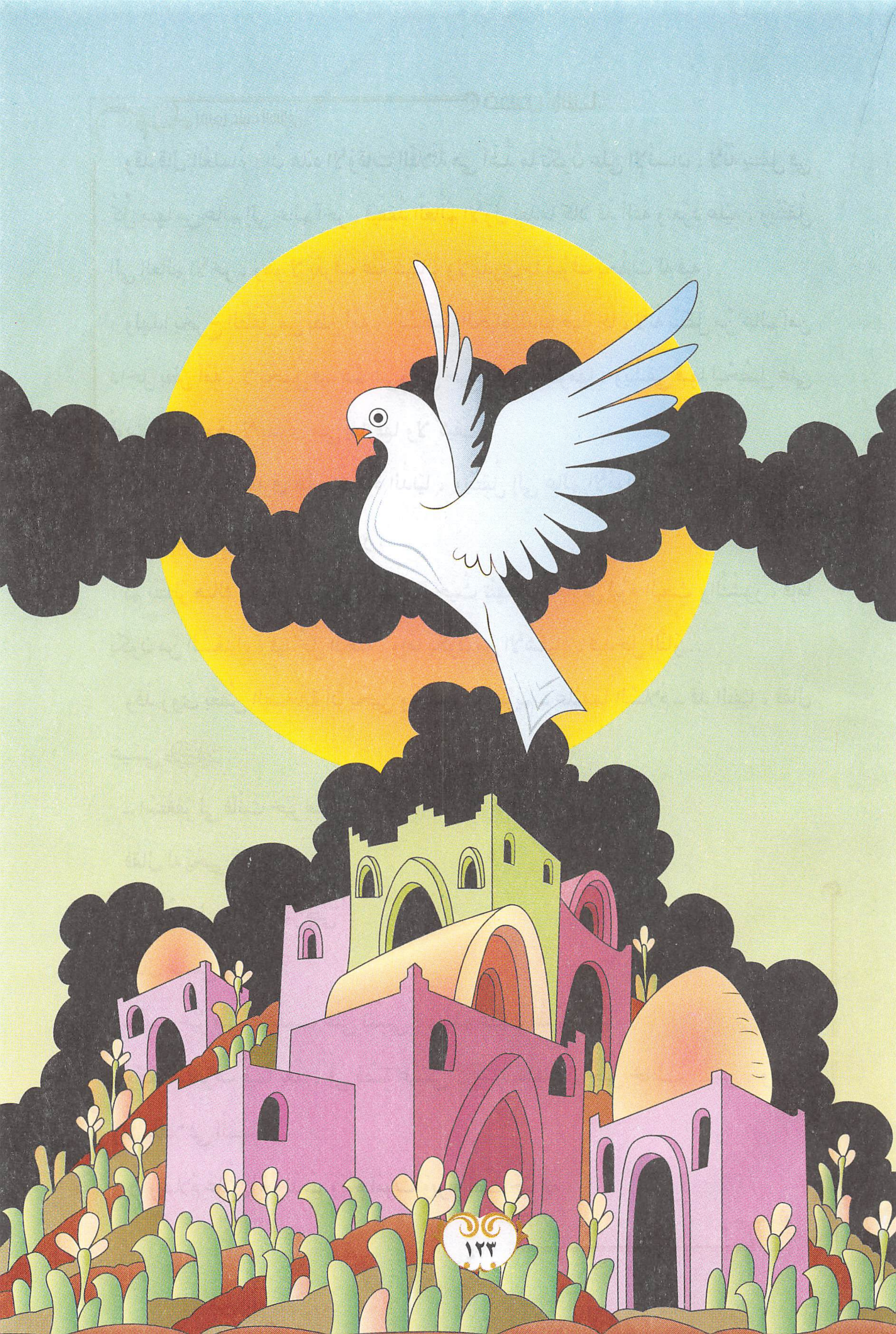
﴿ وحنانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا * وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ﴾ .

ولقدْ كانَ يَحْيَى عَلَيْهِ السَّلَامُ طاهِرَ الْخُلُقِ ، مُعَافًى مِنَ النَّقَائِصِ والرَّذَائِل ، تَقِيًّا يَخْشَى اللهَ ويُطيعُ أَوَامِرَهُ ، ويَجْتَنِبُ نَوَاهِيَهُ .

وكانَ بَرًّا بِوَالِدَيْهِ ، مُطيعًا لَهمَا ، رَحيمًا بهمَا ، عَطُوفًا عَلَيْهِما ..

وقدْ أثْنَى اللهُ (تعالَى) على يَحْيَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فى يوْمِ مَوْلِدِهِ ، ويوْمَ وَفَاتِهِ ، ويوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وسَلامٌ عَلَيْهِ يوْمَ وُلِدَ ويَوْمَ يَمُوتُ ويوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴾



وقدْ قالَ الْعُلماءُ : إِنَّ هذهِ الأَوْقَاتَ الثَّلاثَةَ هى أَشَدُّ ما تَكُونُ على الإِنْسانِ ، لأَنَّهُ ينتقِلُ فِى كُلٍّ مِنْها مِنْ عالَمٍ إِلَى عالَمٍ آخرَ ، فيَفْقِدُ الْعَالَمَ الأَوَّلَ بَعْدَمَا كانَ قدْ أَلفَهُ وتعَوَّدَ عليْهِ ، وينْتقِلُ إِلَى العالَمِ الآخَرِ ، وهو لا يَعْرِفُ عَنْهُ شيْئًا ، ولا يَدْرِى ما سَوْفَ يَحْدُثُ له فِيه ..

ولِهذا يَخْرُجُ الطِّفْلُ منْ بَطْنِ أُمِّه ، ويسْتَقْبِلُ الْحَياةَ الدُّنْيا صَارِخًا ، لأَنَّهُ ينْتَقِلُ مِنْ عالَمٍ آمِنٍ دَاخِلَ بطنِ أُمِّهِ ، لا يَحْمِلُ فيه همَّ شَيْءٍ إِلى حياةٍ يُكَابِدُ هُمُومَها ، ويَشْقَى فيها لِيَحْصُلَ على قُوتِ يَوْمِه ، وهو لا يَدْرِى متَى يُفارِقُها ولا كَيْفَ ..

وإِذا مات فإِنَّهُ يُفارِقُ هذه الْحَياةَ الدُّنْيَا ، وينْتَقِلُ إِلَى عالَمِ الأَمْواتِ ، ويَصيرُ بعْدَ سَكَنِ الدُّورِ والْقُصُورِ ، إِلَى سَكَنِ الْقُبُورِ ..

ثم يَنْتَظِرُ هناكَ إِلَى أَنْ يُنْفَخَ فى الصُّورِ ، حيْثُ تَنْهَضُ الْخَلائِقُ لِيوْمِ الْبَعْثِ والنُّشُورِ ، فإِمَّا يَكون مِنَ السُّعداءِ ، فيدخُلُ الجَنَّةَ ، وإِمَّا يكونُ مِنَ الأَشْقِياءِ ، فيَدْخُلُ النَّارَ ..

وقدْ رَوى بَعْضُ الصَّحابَةِ أَنَّ يَحْيَى وعَيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ـ عليْهما السَّلامُ ـ قَدِ الْتَقَيا ، فقالَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ :

ـ اسْتَغْفِرْ لى فأَنْتَ خيْرٌ مِنِّى ..

فقالَ له يَحْيَى عَلَيْهِ السَّلَامُ :

ـ اسْتَغْفِرْ لى فأَنْتَ خيْرٌ مِنِّى ..

فقالَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ :

ـ أَنْتَ خيْرٌ مِنِّى ، سَلَّمْتُ على نَفسِى ، وسَلَّمَ علَيْكَ اللهُ ..

وكمَا سَنَعْرِفُ فيما بعْدُ ، فى قِصَّةِ عيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فقدْ قالَ حِينَ خاطَبَ النَّاسَ ، وهو ما زالَ طِفلاً فى الْمَهْدِ :

﴿ وَسَلامٌ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾ .





وقدْ أثْنى رسُولُنا مُحمَّدٌ ﷺ على النَّبِيِّ يَحْيَى فقَالَ :

« مَا مِنْ أحَدٍ مِنْ وَلَدِ آدَمَ إلا وقدْ أخْطأَ ، أوْ هَمَّ بِخَطِيئةٍ ، إلا يحْيَى بْنَ زكَرِيَّا » ..

وقدْ قالوا إنَّ الرَّسولَ ﷺ خرَجَ يوْمًا على أصْحابه ، وسَمِعَهُمْ وهمْ يتذاكَرُونَ فَضْلَ الأَنْبِيَاءِ ..

فقالَ قائِلٌ مِنْهُمْ :

ـ مُوسَى كَلِيمُ اللهِ ..

وقالَ قائِلٌ :

ـ عِيسَى رُوحُ اللهِ وكَلِمَتُهُ ..

وقالَ قائِلٌ :

ـ إبْراهيمُ خَلِيلُ اللهِ ..

فقالَ ﷺ :

ـ « أيْنَ الشَّهيدُ ابْنُ الشَّهيدِ ، يَلْبَسُ الْوَبَرَ ، ويأْكُلُ الشَّجر ، مَخافَةَ الذَّنْبِ » ..

وكان ﷺ يقْصِدُ النَّبِيَّ يَحْيَى بنَ زكريَّا ـ عليهما السَّلامُ ..

هذا هوَ نَبِيُّ اللهِ يَحْيَى بن زكريَّا ـ عليهما السَّلامُ ـ الذى كانَ يَعيشُ فى الْبَرِيَّةِ ، بلا بَيْتٍ يأويهِ ، ولا طعَامٍ يَكْفيهِ ، فكانَ يأْكُلُ أوْراقَ الشَّجَرِ ، ويَشْرَبُ مِنَ النَّهْرِ ، ويلْبَسُ الْخَشِنَ مِنَ الثِّيابِ ، ويَنامُ فى أىِّ مكانٍ يَهْبِطُ علَيْه اللَّيْلُ فيه ، ولمْ يكُنْ يمْلِكُ نُقُودًا ، ولا شَيْئًا مِنْ مَتاعِ الدُّنْيا ..

وكانَ كُلُّ وَقْتِهِ مُخصَّصًا لِعبادَةِ اللهِ ـ تعالَى ـ وهِدايَةِ عِبادِ اللهِ إلى طَرِيقِ اللهِ ..





وقدْ أمرهُ اللهُ أنْ يأخذَ الْكِتابَ بقُوّةٍ ، وهو لمْ يزلْ صبِيًّا صغيرًا ، وآتاهُ اللهُ (تعالى) الإقْبالَ على الْعِلْمِ ودِراسةِ كتابِ الشّريعَةِ ، والْقضاءَ بيْنَ النّاسِ وهوَ صبِيٌّ ، وقدْ كان عليه السلام أعْلَمَ النّاسِ وأشَدّهُمْ حِكْمَةً فى زمَانِهِ .. ولذلكَ كان يحْكُمُ بيْنَ النّاسِ ، ويُبيِّنُ لهمْ أسْرارَ الدِّينِ ويُعرِّفُهم الصّوابَ ويُحذِّرُهمْ منَ الْوُقُوعِ فى الْخطأ ..

كانَ يحْيَى عليه السلام محْبوبًا بيْنَ النّاسِ لِحنانِه وزكاتِه ، وعِلْمِهِ وتقْواهُ ، وفضْلِهِ ورحْمتِهِ ، وتنسُّكِهِ للهِ (تعالى) ..

وكانتْ أحبُّ الأوْقاتِ إليْهِ هى أوْقاتُ الصّلاةِ ، ولِذلكَ كانتْ أوقاتُهُ كُلُّها صلاةً مُتّصِلَةً للهِ ..

وكان يُحبُّ أنْ يخرُجَ إلى الْخلاءِ ، حيْثُ الْجِبالُ والصّحارَى والْحقولُ ، فيخْتلِى هُناكَ شُهورًا يعْبُدُ اللهَ ويبْكِى بيْنَ يديْه فى خُشوعٍ وخُضوعٍ ..

وكان رحيمًا بالْحيواناتِ ، وعطُوفًا عليْها ، ولِذلكَ كانتْ أكْثرُ الْوُحُوشِ شراسةً وضراوةً ، تذُوبُ رِقّةً ووداعةً واسْتِسْلامًا له .. وكانَ يحْيَى عليه السلام يُطْعِمُها بيديْهِ ..

وكانَ يحْيَى عليه السلام إذا وقفَ بيْنَ النّاسِ ، لِيدعُوهُمْ إلى اللهِ أبْكاهُمْ حُبًّا وخُشوعًا للهِ ..

وقفَ يوْمًا يخْطُبُ فى النّاسِ ويعِظُهُمْ ، فتجمّعَ حوْلَهُ خلْقٌ كثيرٌ ، فقالَ لهمْ :

ـ إنّ اللهَ (عزّ وجلّ) أمرنى بكلِماتٍ أعْمَلُ بها ، وآمُرُكُمْ أنْ تعْملوا بها .. أنْ تعْبُدُوا اللهَ وحْدَهُ بلا شريكٍ ، فمَنْ أشْركَ باللهِ ، وعبَدَ غيْرَهُ ، فهو مِثْلُ عبْدٍ اشْتراهُ سيِّدُهُ ، فراحَ يعْمَلُ ويُؤدِّى ثمنَ عملِهِ لِسيِّدٍ غيْره .. أيُّكُمْ يُحبُّ أنْ يكونَ عبْدُهُ كذلِكَ ؟!

وآمُرُكُمْ بِالصّلاةِ ، فإنّ اللهَ ينْظُرُ إلى عبْدِهِ ، وهو يُصلِّى ما لمْ يلْتفِتْ عنْ صلاتِهِ ، فإذا صلّيْتُمْ فاخْشعُوا ..

وآمُرُكُمْ بِالصِّيامِ ، فإنّ مثَلَ ذلِكَ كمثَلِ رجُلٍ معَهُ صُرّةٌ منْ مِسْكٍ طيِّبِ الرّائِحةِ ، كلّما سارَ هذا الرّجُلُ فاحتْ منْهُ رائِحةُ الْمِسْكِ الْمُعطّرِ ..



وآمُرُكُمْ بذكْرِ اللهِ (عَزَّ وجَلَّ) كثيرًا ، فإنَّ مثلَ ذَلِكَ كَمِثْلِ رَجُلٍ طَلَبَهُ أعْداؤُهُ فأسْرعَ لِحِصْنٍ حَصِينٍ ، فَأَغْلَقَهُ عليْهِ ، وأَعْظَمُ الْحُصُونِ ذِكْرُ اللهِ ، ولا نجاةَ بِغَيْرِ هذا الْحِصْنِ ..

هذا هوَ نَبيُّ اللهِ يَحْيَى عَلَيْهِ السَّلَامُ الذى أَثْنَى اللهُ (تعالَى) علَى خُلُقِهِ قبْلَ مَوْلِدِهِ ..

خرجَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ، ويَحْيَى بنُ زَكَرِيَّا – عليهِمُ السَّلامُ – يَتماشَيَانِ ذاتَ يَوْمٍ ، فَصَدَمَ يَحْيَى امْرَأَةً ، ولَمْ يَشْعُرْ بِأَنَّهُ صَدَمَها ، فقالَ عِيسَى :

– يا بْنَ الْخالَةِ ، لقدْ أَصبْتَ الْيَوْمَ خَطِيئَةً ما أَظُنُّ أَنَّهُ يُغْفَرُ لكَ أَبَدًا ..

فقالَ يَحْيَى مُتَعَجِّبًا :

– وما هى يا بْنَ الْخَالَةِ ؟!

فقالَ عِيسَى :

– امْرَأَةٌ صَدَمْتَهَا ..

فقالَ يَحْيَى :

– واللهِ ما شَعَرْتُ .

فقالَ عِيسَى :

– سُبْحانَ اللهِ ، بَدَنُكَ مَعِى ، فأَيْنَ رُوحُكَ ؟!

فقالَ يَحْيَى :

– مُعَلَّقٌ بالْعَرْشِ ، ولوْ أنَّ قَلْبى اطْمَأَنَّ إلى جِبْرِيلَ ، لَظَنَنْتُ أنى ما عَرَفْتُ اللهَ طَرْفَةَ عَيْنٍ ..

فَسَلامًا على يَحْيَى يَوْمَ وُلِدَ ، ويَوْمَ يَمُوتُ ، ويَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ..

تَمَّتْ



قصص الأنبياء

عيسى عليه السلام



خير نساء العالمين

قَدَّمْنا فى قِصَّةِ نَبِى اللهِ زكريَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ جُزءًا مِنْ قِصَّةِ مَرْيَم ابْنَةَ عِمْرَانَ ، حيْثُ نَذَرَتْها أُمُّها قبْلَ ميلادِها لِعِبادَةِ اللهِ (تعالَى) وخِدْمَةِ بَيْتِهِ الْمُقَدَّسِ ، وكَيْفَ أَنَّ الْعُلَماءَ قدْ تَسابَقُوا لِكَفالَةِ مَرْيَمَ ، لكنَّ زكريَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ فازَ مِنْ دُونِهِمْ بهذَا الشَّرَفِ الْعَظِيم ..

وكانَ زكريَّا كُلَّما دخلَ علَيْها الْمِحْرابَ وجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا ، فكانَ يَسْأَلُها : مِنْ أينَ لَكِ هذا الرِّزْقُ . وكانَتْ مرْيَمُ تُجيبُهُ بأَنَّه مِنْ عِنْدِ اللهِ ،الَّذى يَرْزُقُ مَنْ يَشاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ..

فلمَّا رأَى زكريَّا ذلك دعَا ربَّهُ ، فرزَقَهُ ابْنَهُ يَحْيَى عَلَيْهِ السَّلَامُ برَغْمِ أَنَّه كانَ شيْخًا مُسِنًّا ، وبِرَغْمِ أَنَّ زوْجَتَهُ كانَتْ عَاقِرًا لا تُنْجِبُ ..

وقد اصْطَفَى اللهُ مَرْيَمَ ، وفضَّلها على سَائِرِ نِساءِ الْعَالَمِينَ ، واخْتارَها لِحَمْلِ رِسَالَةٍ طاهِرَةٍ ، وهى إنْجابُ عَبْدِهِ ونَبِيِّهِ ورَسُولِهِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ..

قالَ (تعالَى) :

﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ * يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ . [سورة آل عمران : ٤٢ ، ٤٣]

يَذْكُرُ اللهُ (تعالَى) أَنَّ الْمَلائِكَةَ بَشَّرَتْ مَرْيَمَ وهى فى الْمِحْرابِ باصْطِفاءِ اللهِ لها ، واخْتِيارِهَا مِنْ بَيْنِ سائِرِ نِساءِ الْعَالَمِينَ ، وأَنَّ اللهَ (تعالَى) قدْ طَهَّرها مِنَ الصِّفاتِ والأَخْلاقِ الذَّمِيمَةِ ، وأَعْطَاهَا الأَخْلاقَ والصِّفَاتِ الْجَميلَةَ .. وأَمَرتْها الْمَلائِكَةُ بكَثْرَةِ الْعِبادَةِ والْقُنُوتِ والْخُشُوعِ للهِ ، وكَثْرَةِ الرُّكُوعِ والسُّجودِ ، لِتكُونَ أَهْلًا لِهذه الْكَرامَةِ التى اخْتَصَّها بها عَلَى سَائِرِ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ، وهى إنْجابُ نَبِيِّه عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بغَيْرِ أَبٍ ، كَما سيأْتِى ذِكْرُهُ ، ولِتَقُومَ بِشُكْرِ هذهِ النِّعْمَةِ ، التى أَنْعَمَ اللهُ بها عَلَيْها دُونَ سائِرِ نِساءِ الأَرْضِ ..



فلمَّا بشَّرَتْها الْمَلائِكَةُ بذلِكَ صارَتْ مَرْيَمُ تُكْثِرُ مِنَ الصَّلاةِ ، حتَّى تَشَقَّقَتْ قدماهَا ، وصَارَتْ تُكْثِرُ مِنَ السُّجودِ والرُّكُوعِ ، والْقُنُوتِ والْخُشُوعِ ، وصَارَتْ مَرْيَمُ أَشْهَرَ عابِدَةٍ للهِ (تعالَى) فى زَمَانِها ..

ثم بَشَّرَتِ الْمَلائِكَةُ مَرْيَم بأَنَّ اللهَ (تعالَى) سَيَهَبُها وَلَدًا زَكِيًّا ، يكُونُ نبيًّا كريمًا طَاهِرًا ، ويُؤَيِّدُهُ اللهُ (تعالَى) بالْمُعْجزات ..

وتَعجَّبَتْ مَرْيَمُ مِنْ وُجُود وَلَدٍ مِنْ غيْرِ وَالِدٍ ، لأَنَّها لَمْ يكُنْ لهَا زَوْجٌ ، وهى لَيْسَتْ مِمَّنْ يتزَوَّجْن ، لأَنَّ أُمَّها قدْ وَهَبَتْها مِنْ قَبْلُ لِعِبَادَةِ اللهِ ، ونَذَرَتْها لِخدْمَةِ بَيْتِ الْمَقدِس ، فَأخْبرَتْها الْمَلائكَةُ بأَنَّ اللهَ (تعالَى) قادِرٌ على كُلِّ شَىْءٍ ، وهوَ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا ، فإنما يَقُولُ لَهُ كُنْ فيكُونُ ، فسَلَّمَتْ مَرْيَمُ أَمْرَهَا للهِ (تعالَى) راضِيَةً بأَمْرِه ، وعَلِمَتْ أَنَّ هذا الاخْتِيَارَ لهَا ، سيَكُونُ فِيه ابْتِلاءٌ عَظِيمٌ لَها ، لأَنَّ النَّاسَ سيَتكَلَّمُونَ فيها ، لأَنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ حَقِيقَةَ أَمْرِها ، واصْطِفَاءَ اللهِ (تعالَى) لهَا ، وإِنَّمَا سَيَنْظُرُونَ إِلَى ظَاهِرِ الْحَالِ بغَيْرِ تدَبُّرٍ ولا تَعَقُّلٍ ..

وكانَتْ مَرْيَمُ تُغَادِرُ مِحْرابَ الصَّلاةِ فى بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، فى بَعْضِ الأَحيانِ لِشَأْنٍ مِنْ شُئُونِها ، وذاتَ مَرَّةٍ خَرجَتْ مِن الْمَسْجِدِ لإِحْضارِ بَعْضِ الْمَاءِ ، فجَلَسَتْ وحْدَهَا شَرْقِىَّ الْمَسْجِدِ ، فبَعَثَ اللهُ (تعالَى) إِلَيْها الْمَلاكَ جِبْريلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فى صُورَةِ رَجُلٍ ..

وفُوجِئَتْ مَرْيَمُ بالْمَلاكِ جِبْرِيلَ يظْهَرُ أَمَامَها فجْأَةً فى صُورَةِ رَجُلٍ ، فَفَزِعَتْ مِنْهُ ، وتعَجَّبَتْ فى نَفْسِها قَائِلَةً :

ـ مِنْ أَيْنَ جاءَ هذا الرَّجُلُ ، الَّذى يَقِفُ أَمَامِى ؟!

فلمَّا نَظرتْ مَرْيَمُ إِلَى وَجْهِ الْمَلاكِ جِبْريلَ الْوَاقِفِ أَمامَها فى صُورَةِ رَجُلٍ ، تأَكَّدتْ أَنَّها لمْ تَرَ هذَا الرَّجُلَ مِنْ قَبْلُ ، وأَنَّها لا تَعْرِفُهُ ، ولكِنَّ عَلاماتِ الصَّلاحِ والتَّقْوَى كانتْ بَادِيَةً على وَجْهِ الْوَاقِفِ أَمامَها ..



ولهذا احْتمَتْ مَرْيَمُ فى ذَاتِ اللهِ ، واسْتَعاذَتْ بِهِ مِنَ الْوَاقِفِ أَمَامَها قائِلَةً :

﴿ إِنِّى أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا .. ﴾

فخَاطَبَها جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قائلاً :

﴿ إِنَّمَا أَنا رَسُولُ رَبِّكِ لأَهَبَ لَكِ غُلامًا زَكِيًّا .. ﴾

اطْمأَنَّتْ مَرْيَمُ إِلَى أَنَّ الْوَاقِفَ أَمامَها لا يُرِيدُ بِهَا شَرًّا ، فَهوَ رَسُولُ رَبِّها ، وقَدْ جاءَ لِيَهَبَ لَهَا غُلامًا زَكِيًّا ..

وتذَكَّرَتْ مَرْيَمُ على الْفَوْرِ أَنها عَذْراءُ لَمْ تَتزَوَّجْ ، ولَمْ يَمْسَسْهَا إِنْسَانٌ ، فكَيْفَ تُنْجِبُ ؟!

ولذلِكَ قالَتْ لِجبْريل عَلَيْهِ السَّلَامُ مُسْتَنْكِرَةً :

﴿ أَنَّى يَكُونُ لِى غُلامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ؟! ﴾

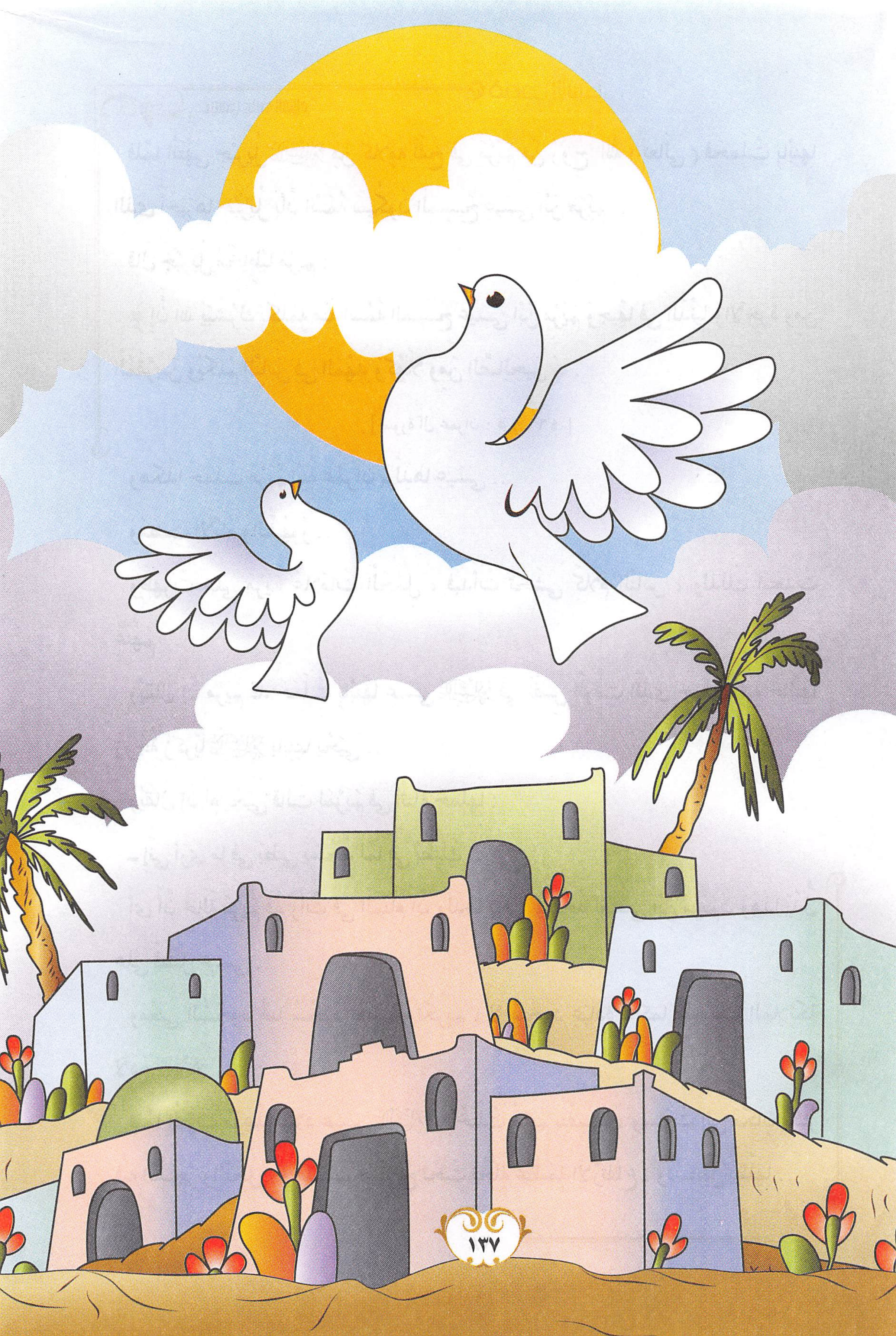
وردَّ عليْها جِبْرِيل عَلَيْهِ السَّلَامُ قائلاً :

﴿ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا ﴾ .

قالَ لَهَا جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنَّ اللهَ (تعالَى) قَدْ وعَدَ أَنَّهُ سَيَخْلُقُ مِنها غُلامًا مِنْ غَيْرِ زَوْجٍ ، وأَنَّ هذَا الأَمْرَ سَهْلٌ على اللهِ (تعالَى) ويَسيرٌ علَيْه ، فهوَ سُبْحانَهُ قادِرٌ على كُلِّ شَيْءٍ ..

وأَنَّ اللهَ (تعالَى) سَوْفَ يَجْعَلُ خَلْقَ هذا الْغُلامِ آيَةً لِلنَّاسِ ومُعْجِزَةً ، تدُلُّ على كَمالِ قُدْرَتِهِ سُبْحَانَهُ على أَنْواعِ الْخَلْقِ ، فإِنَّهُ سُبْحانهُ سَبَقَ وخَلَقَ آدَمَ مِنْ غَيْرِ أَبٍ ولا أُمٍّ ، وخَلَقَ حوَّاءَ مِنْ ضِلْعِ آدَمَ ، فهِىَ مِنْ أَبٍ بِغَيْرِ أُمٍّ ، وخَلَقَ بَقِيَّةَ النَّاسِ مِنْ أَبٍ وأُمٍّ ، وهَا هُوَ ذا سُبْحانَهُ يَخْلُقُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ أُمِّه مَرْيَمَ بِغَيْرِ أَبٍ ..

وأَنَّ هذا الْغُلامَ سَوْفَ يكُونُ رَحْمَةً مِنَ اللهِ ، يَرْحَمُهُمْ به ، بِأَنْ يدْعُوهُمْ إِلَى اللهِ فى صِغَرِه ، وفى كِبَرِه ، فى طُفولَتِهِ ، وفى كُهولَتِهِ ، يدْعُوهُمْ إِلى تَوْحِيدِ اللهِ وحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ ، وأَنْ يَخْتَصُّوهُ وَحْدَهُ بالْعِبادَةِ ، ويُنَزِّهُوهُ عَنِ الشَّرِيكِ والزَّوْجَةِ والْوَلَدِ ، وعَنِ النَّظِيرِ والْمِثْلِ .. وهذا أَمْرٌ قَضَاهُ اللهُ وقَدَّرَهُ ..



فلمّا انْتهَى جِبْريلُ عليه السلام مِنْ كَلامِهِ نَفَخَ فى مَرْيَمَ مِنْ رُوحِ الله (تعالَى) فحَمَلَتْ بِابْنِها الذى أخْبَرَها جِبْريلُ بأنَّ اسْمَهُ سَيكُونُ الْمَسيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَم ..

قالَ جِبْريلُ مُخاطِبًا مَرْيَمَ :

﴿ إِنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِى الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ .

[سورة آل عمران : ٤٥ ، ٤٦]

وهكذا حملَتْ مَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرانَ بوَلَدِها عِيسَى ..

ومَضتِ الأَيّامُ والشُّهُورُ ..

وظَهرتْ على مَرْيَمَ علامَاتُ الْحَمْلِ ، فبَدأتْ تَخْشَى كَلامَ النَّاسِ ، ولِذلك ابْتَعدتْ عَنْهُمْ ..

ويُقالُ إِنَّ مريَمَ قد حَمَلَتْ بِابْنها عِيسَى عليه السلام فى نَفْسِ الْوَقْتِ الَّذى حملَتْ فِيهِ خالَتُها زَوْجَةُ زكريَّا عليه السلام بابْنِها يَحْيَى ..

ويُقالُ إِنَّ أُمَّ يَحْيَى قالتْ لِمَرْيَمَ فى أَثْناءِ حَمْلِها :

ـ إِنِّى أَرَى ما فى بَطْنِى يَسْجُدُ لمَا فِى بَطْنِك ..

أى أَنَّ خالَةَ مَرْيَمَ قَدْ رَأَتْ فى الْمَنَامِ أَنَّ ولدَهَا يَحْيَى يَسْجُدُ لِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ، وهذا يَدُلُّ على فَضْلِ عِيسَى ..

ومَعْنَى السُّجُودِ هُنا سُجُودُ تعْظِيمٍ وتكْريمٍ ، لا سُجُود عِبادَةٍ ، كما سَجَدَتِ الْمَلائِكَةُ لآدمَ عليه السلام ..

فلمّا اقْتَرَبَ مَوْعِدُ مِيلادِ عِيسَى عليه السلام ، اخْتلَتْ مَرْيَمُ بِنَفْسِها ، وسارَتْ إِلى مَكانٍ يَكْثُرُ فيه الشَّجَرُ والنَّخْلُ ، وجلَسَتْ تَسْتَريحُ تحْتَ نخْلَةٍ عظِيمَةِ الارْتِفاعِ ، وتَستَظِلُّ بظِلِّها ..



وهذا الْمكانُ لا يَعْرِفُهُ النَّاسُ ، ولا يَقْتَرِبُ مِنْهُ أَحَدٌ ..

وهناكَ شَعرتْ مَرْيَمُ بآلامِ الْوَضْعِ ، وعَرَفَتْ مَرْيَمُ أَنَّها سوْفَ تَضَعُ الْمَوْلُودَ الذى بشَّرَهَا اللهُ (تعالَى) بِهِ ، فبدأَتْ تَشْعُرُ بالْحُزْنِ ، والْخَوْفِ مِنَ النَّاسِ .. هَلْ سَيُصَدِّقُهَا النَّاسُ إذا قالتْ لهمْ إنَّها حملَتْ بولَدِهَا دُونَ أَنْ يَمْسَسْهَا بَشَرٌ ؟ هلْ يصدِّقُونَ أنها وهى الْعَابِدَةُ النَّاسِكَةُ قدْ حَمَلَتْ بِعِيسَى عليه السلام ، دُونَ أَنْ يَكُونَ لها زَوْجٌ ؟!

وفى هذه اللَّحْظَة تمنَّتْ مَرْيَمُ الْمَوْتَ ، تَمَنَّتْ لوْ أَنَّها كانَتْ قدْ مَاتَتْ قبْلَ هذَا الْيَوْمِ ، أو أَنَّها لمْ تُخْلَقْ بالْمرَّةِ ..

قالَ (تعالَى) :

﴿ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا ﴾ .

[سورة مريم : ٢٣]

ووضعَتْ مَرْيَمُ مَوْلُودَها عِيسَى عليه السلام ولَمْ تكَدْ تنْتهى مِنْ تَمَنِّيها الْمَوْتَ ، حتَّى نَادَاهَا صَوْتٌ مِنْ تَحتِها ، قالَ بعْضُهُمْ إنَّهُ الْمَلاكُ جِبْريلُ عليه السلام ، وقالَ بَعْضُهُمْ إنَّهُ مَوْلُودُهَا عِيسَى عليه السلام .. قالَ اللهُ (تعالَى) :

﴿ فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا * وَهُزِّى إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا * فَكُلِى وَاشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِى إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴾ .

[سورة مريم : ٢٤ ـ ٢٦]

أمرهَا الصَّوْتُ أَنْ تكفَّ عَنْ حُزْنِها ، لأَنَّ اللهَ قدْ جعَلَ تَحتها نهْرًا تشْرَبُ مِنْهُ ، وطلَبَ مِنْها أَنْ تهُزَّ جِذْعَ النَّخْلَةِ ، فتَسْقُطَ عليْها ثِمارُ الْبَلَحِ الرَّطْبِ الشَّهيَّةُ ، فتأْكُلَ منها ، وتشْرَبَ مِنَ النَّهرِ الَّذى أجْراهُ اللهُ لها ، كما أَمرَهَا أَنْ تَمْتَلِئَ بالْفرحِ والسَّكِينَةِ ، ولا تُفكِّرَ فى شَىْءٍ ، فإذا رأَتْ أَحَدًا مِنَ الْبشَرِ ، فلْتَقُلْ لهُ إنَّها نذَرَتْ أَنْ تَصُومَ للهِ عنِ الْكَلامِ ، وأنَّها لنْ تُكلِّمَ الْيَوْمَ إنْسانًا ..

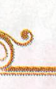


ومدَّتْ مَرْيَمُ يدَهَا إلى النَّخْلَةِ ، فهزَّتها فتَساقَطَ علَيْها بَلَحٌ شَهِيُّ الطَّعْمِ ، فأكَلَتْ وشَرِبَتْ مِنَ النَّهْرِ تَحْتَهَا ، ثمَّ حَمِدَتِ اللهَ وشَكَرَتْهُ على هذَا الرِّزْقِ الطَّيِّبِ الَّذى ساقَهُ إلَيْهَا دُونَ مَجْهُودٍ أَوْ عَنَاءٍ ، وعَلَى هذا الْماءِ الْعَذْبِ ، الَّذى أجْراهُ تحْتَ قَدَمَيْها ..

وهكذَا أَخَذَتْ مَرْيَمُ تأْكُلُ وتَشْرَبُ وتُرْضِعُ طِفْلَهَا الْمُعْجِزَةَ عِيسَى عليه السلام حتى انْقَضَتْ أيَّامُ نِفَاسِها ، واسْتَرَدَّتْ عافِيَتَها ، فحَمَلَتْ طِفْلَهَا ، وسارَتْ بِهِ قاصِدَةً بَيْتَ الْمَقْدِسِ .. فلَمَّا رآهَا النَّاسُ وهى تَحْمِلُ الطِّفْلَ اسْتَنْكَرُوا أَنْ تُنْجِبَ مَرْيَمُ وهى الْعَذْرَاءُ طِفْلًا مِنْ غَيْرِ أَنْ تكونَ قدْ أَخْطَأَتْ وآتَتْ فِعْلاً شائِنًا .. ولِهذَا قالُوا لها : ﴿ يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴾ ..

(يُتْبَعُ)

(احرص على اقتنائك المجلد الخامس)



الفهرس

رقم الإيداع : ٢١٦٢

الترقيم الدولى : ٢ ـ ٢٨٩ ـ ٢٦٦ ـ ٩٧٧


خـطـوط للتجـلـيد
مدينة العبور - المنطقة الصناعية الأولى
تليفون : ٤٦١٠٦١٣٦ (٠٢)
Khotout.binding@gmail.com